

فريق
متميزون



E-BOOK



مالاكان



حسن الحلبي

تاكسي

3

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية للجيب

في كل رواية متعة دائمة

مكتبة فريق_متميزون
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة تاكسي
العدد رقم (03)

مالاكان

تأليف: حسن الحلبي

مقدّمة

إن كانت هذه هي المرة الثالثة لك معي؛ فأنت تعرفني من لقاءنا السابق حتمًا، وتعرف أنني (سامر رمضان)، سائق تاكسي حاليًا، وخبير في الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلاً من السجن؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم، ذات مرّة..

إن كانت هذه هي المرة الثالثة لك معي؛ فأنت تعلم أنني متزوج، وأن اسم زوجتي (ديالا)، وأن ابني (كريم) في الصف الأول الابتدائي، وأن لي جازًا صحفيًا اسمه (يوسف)، وأنتى تعرفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل)، الذي يريد أن يكون مهمًا بأي شكل، وعلى (ديمترى) عالم الفيزياء الكيميائية الذي يعشق (البوم)، المتثائب طوال الوقت، وعلى (همام خميس) الممرض الذي يقول بيتين من الشعر كل دقيقتين..

إن كانت هذه هي المرة الثالثة لك معي؛ فأنت تعلم أنني قدمت استقالتى من المخابرات العامة، وتفرغت للعمل كسائق تاكسي، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات فى صدرى بسبب أحد عملياتي القديمة، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التى أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاعتقال، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماسى..

إن كانت هذه هي المرة الثالثة لك معي؛ فأنت تعلم أنني نلت إعجاب (ديمترى) و(منذر)، وأنهما أخبرانى أنني - ربما - سأعمل معهما فى أية قضايا لهم، بشرط أن تكون ذات علاقة حقيقية بما أعرف.. سأعمل معهما بصورة غير رسمية بالطبع، فأنا سعيد بحياتى، والتاكسي يكفى معيشتى وزيادة، ولا أريد أن أضع نفسى فى دائرة الخطر من جديد؛ كما كنتُ قبلًا..

أمّا إن كانت هذه هي المرة الأولى لك معي؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر، أو الكتيبين السابقين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١- الكيان الأسود..

الظلام الحالك، ولا شىء سواه..

الظلام الحالك، يحيط بالمدينة، ولا يعكر صفوه المعتم إلا قرص البدر المضىء، والذي يطل من بين الغيوم الخفيفة على استحياء..

ليس هُناك صوت يحيط بتلك المقبرة القديمة إلا أصوات حشرات الليل، والسيارات التى تمر واحدة منها كل حين..

هدوء شديد، قطعه بغتة صوت ذلك الكيان المتسربل بالسواد الكامل، المغطى بالعتمة، والذي يمشى ببطء كمن يحاذر أن يصدر أى صوت..

يتلفت يمينًا ويسارًا، لا أحد هُناك..

لا يعرف أحد من أين جاء، ولا كيف ظهر بغتة؛ لكن شكله كان مناسباً ومكماً للعتمة والهدوء..

يقترّب من باب المقبرة ببطء، لحسن حظه لم يكن مغلقاً رغم أنّ هذه ليست مشكلة كبيرة بالنسبة له.. يدفع الباب الحديدى بهدوء، يصدر الباب صريراً لكنه لا يهتم.. لا يبدو عليه أن سمع شيئاً أصلاً..

يدخل ويترك الباب موارباً، يمشى فى بقاء نحو قبر بعينه.. شكله فى الليل يبدو مخيفاً، من الجيد أنه لا توجد أى بنايات أو أسواق أو مظاهر للحياة بالقرب من هذه المقبرة.. من الجيد أيضاً أنها شبه معزولة، خصوصاً أن الساعة تجاوزت منتصف الليل بساعتين على الأقل..

الهدوء الشديد، وصوت الخطوات البطيئة، وصوت الأنفاس الغريبة تلك.. أنفاس الكيان، الذى تابع المشى بتؤدة وثبات، وكأنما ليس له هدف فى العالم الآن إلا الوصول نحو القبر ذاك..

قبل عصر هذا اليوم تمّ دفن شاب قضى نحبه بالأمس، لم يكن يشكو من شىء كما أنه كان يمارس التدريبات الرياضية ثلاث مرات فى الأسبوع.. هذا ما جعل الكل يستغرب موته؛ لكن لا استغراب مع الموت، دوماً يزور الأشخاص الذين لا يتوقعون زيارته، وكأنه يعانى طرأاً خاصاً من العناد!

يقترّب الكيان من قبر هذا الشاب، يقترّب أكثر، وأنفاسه تعلو وتعلو، وكأنما هو مقبل على غنيمة..

يتوقف أمام القبر وينظر حوله مرة أخرى، هناك بعض الخفافيش فى السماء، لا غير..

يجثو على ركبتيه، تتسخ العباءة السوداء التى تغطيه من رأسه وحتى قدميه، لا يهتم.. تظهر يداه بغتة..

يدان ازدحمت العروق فى كلٍّ منهما، وبدا واضحًا أنهما يدا عجوز.. عجوز كبير العمر جدًّا، فهناك عشرات التجاعيد التى جعلت من كل يد شبه خريطة!

وهناك المخالب أيضًا.. طويلة ومعقوفة وتشبه منقار الصقر، وقد امتد المخلب بارزًا من كل يد نحو الإمام بمقدار عدة سنتيمترات قليلة..

كان المشهد غريبًا وغير مألوف، لم يره أحد فى الجوار وإلا كان نصيبه الذعر والهلع الشديدين..

فجأة دبّت قوة غريبة فى جسد الكيان، وبدأ يحفر القبر بسرعة عجيبة، ويزيح التراب والرمال والصخور يمينًا ويسارًا، محدثًا مقدارًا لا بأس به من الضجيج..

مرّ بعض الوقت، والكيان مستمر فيما يفعل دون توقف، ودون تعب، ودون أى شعور بالإرهاق.. قبل أن يظهر فى الأسفل الكفن الأبيض، الذى يلف جثة الشاب جيدًا، والذى اتسخ قليلًا بسبب الرمال التى أصابته ولمسته..

يتوقف الكيان عن الحفر، يسحب الكفن بغتة من القبر بذراعيه القويتين.. حقًا هما قويتان جدًّا إذ إنه سحبه من الأسفل وألقى به إلى الخارج..

نهض، واقترب من الكفن، وشيئًا فشيئًا بدأ يفك القماش، ويمارس شيئًا غريبًا مخيفًا فى صاحب الجسد، عندما باغته ذلك الصوت من خلفه، يقول بنبرة مذعورة:

- ماذا تفعل هنا؟!

التفت الكيان إلى الخلف، فوجد حارس المقبرة، الذى لا يعرف أحد كيف استيقظ فى هذا الوقت، وما الذى جذبه إلى هذه النقطة بالذات، من المقبرة الكبيرة؛ وقد وقف بعيدًا عنه بعدة أمتار، حاملًا عصا غليظة فى يده اليمنى..

ربما جذبه صوت الكيان وهو يحفر!

يحاول الحارس أن يلتقط شيئًا من شخصية الكيان الذى أمامه، شيئًا من ملامحه، أى تفاصيل تساعد على التعرف إليه وإلى كنهه بالضبط، دون جدوى.. هو مجرد كيان ضخم الجثة، مغطى بعباءة سوداء تخفى كل تفاصيله وملامحه..

... من أنت؟! وماذا تفعل هنا فى هذا الوقت المتأخر؟!

لم يجبه الكيان، بل بقى واقفًا فى ثبات..

يقترّب الحارس أكثر، ويحاول النظر إلى الجثة التى أخرجها الكيان من كفنها، لمعرفة ما الذى حل بها بالضبط، متوقعًا أنها مجرد سرقة لعضو، أو خطف لجزء ما، كما يفعل بعض طلاب كلية الطب المجانيين أحيانًا، لكن ما رآه لم يكن كما توقع على الإطلاق، وكما لم يكن يتخيل أن يراه أمامه فى حياته..

ارتجف جسده كله، تراجع إلى الخلف عدة أمتار وهو ينظر نحو الكيان نظرة ملؤها الرعب والخوف والذعر والفرع، مستعيدًا بالله الرحمن الرحيم وذاكرًا اسمه عدة مرات، قبل أن يرمى العصا من يده، ويفرّ هاربًا بأقصى ما يستطيع من سرعة..

وعندما جاءت الشرطة بعد ساعة مستعينة بما تيسر لها من أوصاف وكلام من الحارس، كانت الجثة على الأرض كما رآها، ولم يكن لذلك الكيان أدنى أثر..

.. كان قد اختفى تمامًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالنسبة لى فلم أعرف شيئًا من هذا، إذ كنت غارقًا فى نوم عميق وقتها..

كان اليوم التالى عندى مهمًا للغاية..

ما زلتُ كما أنا، سائقًا للتاكسى لأننى أحب هذا، ولأنّ هذا مصدر رزقى الأول والأخير، ولأنه يمدنى بالكثير من الخبرات، ولأنه أفضل غطاء لى، فيما لو ظهر بغتة عمل غريب أو عجيب كما اعتدت من (منذر) أو (ديمترى)!

(منذر خليل)، الرائد فى جهاز الشرطة والذى يجب أن يبدو مهمًا دومًا، و(ديمترى) الغريب، عاشق البوم، المتثائب بمناسبة أو غير مناسبة!

لم أرهما منذ عشرين يومًا، وأعتقد أن هذه الفترة طويلة جدًّا بالنسبة لى.. أعتقد أن ما عشته معهما، وما اكتشفته عن نفسى ونحن معًا؛ يفوق كل ما كنت أظننى أعرفه عنى طوال حياتى..

فى الأمر لغز كبير بحق؛ وسأعرفه فى يوم ما.. لا بدّ من هذا، وإن كنت أجهل متى بالضبط..

ما حدث فى المرتين السابقتين جعل رصيدى يرتفع من جديد فى دائرة المخابرات العامة، وجعلهم ينتبهوا إلى أننى كنت مخطئًا جدًّا عندما تركت

العمل معهم وانصرفت إلى سيارتى الصفراء الحبيبة، وأنهم كانوا مخطئين - كذلك - حين وافقوا على هذا..

منذ انتهاء المغامرة السابقة، ووصولنا إلى النفق، وخروجنا منه دون أن أتورط بأى كلمة أو تصرف قد تؤدى إلى حدوث شىء لا يحمد عقباه، وهم يدرسون - هُناك - فى دائرة المخابرات العامة، طلب (منذر) و(ديمتري) بأن يكون هُناك دائرة للمخابرات العلمية..

تم عرض الأمر على المسؤولين الكبار، وعلى قائد الجيش ووزير الدفاع ومدير المخابرات العامة، وبعد يومين بالضبط صدرت الموافقة، وكان لا بد من العمل على توفير طابق كامل فى دائرة المخابرات العامة من أجل هذا القسم، التى تم إصدار قرار أنها ستكون مجرد قسم صغير فى البداية، لا يوجد به أكثر من ثمانية موظفين، مع وعد كبير بأنه سيتم افتتاح مبنى كامل للمخابرات العلمية خلال ستة أشهر على الأكثر..

قسم للمخابرات العلمية؛ هذا أكثر مما كان يتخيله (منذر) و(ديمتري).. هذا سيوفر لهم الكثير جدًّا من الأمور والمساعدات، خصوصًا فى القضايا الطارئة.. لن يتعلق الأمر فقط بالجثة التى تساعدنا كثيرًا دون أن تعلم؛ (فابيو سكاشينشى)، عضو عصابات مافيا الدماغ كما أخبرونى فى أوّل مرة رأيته فيها.. والتى لم أسمع فيها بهذا الاسم الغريب سوى منهما فحسب!

كان الطلب الأول من قبل رئيس المخابرات العامة أن يتولّى أحد صاحبي الاقتراح - (منذر) أو (ديمتري) - رئاسة هذا القسم الجديد، فهما الأولى بهذا المنصب.. لكنهما اعتذرا بلباقة شديدة، وبّرر (منذر) الرفض بأنه رائد فى الشرطة وليس له علاقة بالمخابرات، كما أنه ضد العمل المكتبى بشدة، بينما قال (ديمتري) أنه حتى لو كان صاحب الفكرة فهو ليس أهلاً لقيادة فريق، ولا للعمل وراء شاشة حاسوب، ولا للبقاء خلف جدران بعيدة عن عالمه.. هُو يعمل كما يجب وأكثر فى شقته، ذلك المكان المزدهم بالغرائب والعجائب، والتى لم أر أحدًا فى حياتى يسكن فى مكان كهذا..

شقة (ديمتري) يجب أن تكون فى موسوعة (جينيس) للأرقام القياسية؛ فهى أكثر الشقق غرابة فى العالم!

وافق مدير المخابرات العامة، ووعد بأنه سيقوم ببذل ما فى وسعه من أجل أن يكون القسم الجديد واحدًا من أفضل الأقسام وأكثرها نشاطًا، كما قال إنه سيعض فيه نخبة من المتميزين فى الأمور العلمية والتقنية والتكنولوجية الحديثة، بالضبط كما أوصى (ديمتري)..

المهم أنني استيقظت بعد نوم عميق، وأيقظت (ديالا) بعد قلة سريعة، وأخبرتها أن تعد لي طعام الفطور، إذ لا بد لي أن أنطلق إلى العمل..

نهضتُ ودخلت غرفتي الخاصة، مكتبي، الذي سبق وأن أخبرتكم عن أنه أكثر من عالم خاص بالنسبة لي.. هُنا أجد حريتي وهوائي، الذي لا أشعر به في أي مكان آخر..

جلست قليلاً على جهاز الحاسوب الخاص بي، تصفحت بعض المواقع الإلكترونية الخاصة بي، تصفحت مدونتي الخاصة والتي أضع فيها كل حين وحين شيئاً مما يخطر في بالي، حول نفسي، أو عن حالة أمر بها، أو عن أمر سياسي أو دولي ما، أثر بي بطريقة جعلتني أكتب دون تفكير بنوعية الشيء الذي أكتبه..

هل يطلقون على هذا النوع (خواطر)؟! نعم.. أعرف أنه غير مُعترف به أدبيًا ولا نقديًا، ولكن من قال إنني أريد أن أنشره في كتاب أو في مجلة؟!

هو لي فحسب.. وليره من يره، وليتجاهله من يريد.. هذه المدونة ليست أكثر من مساحة أخرى للفضفضة عما في داخلي..

مرت نصف ساعة قبل أن تنادينني (ديالا)، نهضت واتجهت إلى المطبخ، جلست معها ومع (كريم) الذي ارتدى ملابس المدرسة، وجلس على مقعده الصغير بجانبنا..

تناولنا الفطور، ودّعنا (ديالا)، وخرجنا أنا وهو معًا.. أوصلته إلى مدرسته القريبة ثم اتجهت إلى الشارع.. عملي في الشارع، أي شارع، المهم أن يكون فيه زبائن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ومرّت عدة ساعات وأنا أتنقل من حي إلى حي، مستمتعًا بالاستماع إلى قصص كثيرة من الناس، وشكاوى كثيرة من المتزوجين بالذات، قبل أن يباغتني رقم غريب باتصال..

- آلو..

قلتها، فأتاني صوت (يوسف):

- تحياتي لك يا (سامر).. كيف أنت؟

- أهلاً أهلاً بالصحفي النشيط، والجميل دومًا (يوسف).. أنا بخير والحمد لله، ومشتاق لك، كيف أنت يا صديقي؟!

أجابني وتكلّمتنا قليلاً مع بعضنا.. (يوسف) هو جارى، وهو صحفى نشيط يحب عمله، كما أنه كان بطلاً سابقاً للمملكة فى الجمباز، قليلون من يعرفون هذا.. كانت هناك بعض المجاملات السخيفة المعتادة التى لا بدّ منها، قبل أن يقول لى فى لهفة:

- ستحضر اليوم، أليس كذلك؟!

أقول باستغراب:

- أحضر؟! إلى أين بالضبط؟!

ضحك، وقال:

- إلى افتتاح قسم المخابرات العلمية الجديد، فى دائرة المخابرات العامة! استغربت جدّاً..

كنت متخيلاً أن هذا الخبر سيكون سرّياً، وأن هناك تعتيماً إعلامياً سيمارس عليه! لكننى كنتُ مخطئاً..

أجبتة وما زلت مندهشاً:

- نعم، سأحضر بإذن الله، أنا مستغرب كيف عرفت بالأمر، من أخبرك..

- هُم! اتصلوا بى من قسم المخابرات الجديد، وأخبرونى أن آتى لأحضر الاحتفال الصغير الذى سيقام اليوم فى الدائرة.. لم يريدوا أن يجعلوا الأمر سرّياً لئلا تشكّ واحدة من الدول العظمى بالأمر، وبأن هناك نشاطاً مشبوهاً سيحصل، ولذا أرادوا أن يكون الأمر علنياً وصريحاً جدّاً، بما أنه لن تكون هناك أى أهداف لهذا القسم سوى البحث العلمى فحسب..

ابتسمت وقلْتُ فى داخلى:

- هذا ما تم إخبارك به فحسب، يا حلو!

أنهيت المكالمة معه بعدها، ولم تمر دقائق معدودة حتى اتصل بى رقم آخر أعرفه.. كان رقم (منذر)!

- عزيزى (منذر)!

قلتها فأتانى صوته الجميل:

- عزيزى (سامر)..

قالها، وأردف قبل أن أقول أى شىء:

... هل أنت جاهز للحفلة الصغيرة اليوم؟!

أقول:

- الحقيقة أننى لست جاهزًا تمامًا، أشعر بقلق لا أدرى سببه الحقيقى يا (منذر)..

يقول (منذر)، محاولاً طمأنتى:

- لا، لا تقلق يا (سامر).. كل ما فى الأمر أننا اليوم سنتعرف على موظفى القسم الجديد، وسنتعرف أقسامه، والأهم من هذا كله، سنجلس اليوم معًا - لأول مرة - مع رئيس المخابرات العامة، والذى كان مشرقًا علينا فى المهمتين السابقتين كما تذكر..

أخذت نفسًا عميقًا وقلت:

- لا بأس.. لا بأس..

- سننتظرك فى الموعد، حسنًا؟!

- حسنًا.. سأمر على البيت أولاً لتناول طعام الغداء، وبعدها سأتيك أنت و(ديمتري).. سنخرج معًا، بسيارتى..

يقول:

- ليست هناك مشكلة، المهم أن تكون أنت على ما يرام..

- أنا على ما يرام..

قلتها بهدوء، يخفى عاصفة متناقضة من المشاعر داخلى.. عاصفة لا أدرى سببها! لكنها توترنى!

أستعيز بالله من الشيطان الرجيم.. اليوم مهم ولا بد لى من التخلص من هذه الوسوس..

مر بعض الوقت، المزيد من الزبائن، المزيد من الثثرة، المزيد من التوتر، قبل أن أمر على البيت..

هناك رائحة كريهة!

هذا أول ما انتبهت إليه، وأول ما أزعجنى حين دخلت وجلست فى غرفة الجلوس، مما جعلنى أنادى (ديالا) بعد هنيهة، لتأتى وقد ملأ العرق وجهها:

- نعم..

أستفسر منها، وقد ظهرت ملامح الاشمئزاز على وجهى:

- ما هذه الرائحة؟!

تهزّ كتفيها علامة على عدم معرفتها، وتقول:

- لا أدري.. شممتها منذ الصباح ولم أعرف سببها، هي ليست من عندنا إن كنت تشك بهذا!

أقول:

- متأكدة؟!

تقول فى تهالك وهى تجلس:

- طبعًا، متأكدة جدًّا..

أتوجه نحو المطبخ، وأقول:

- تعالى وضعى لى بعض الطعام، لا بدّ من الخروج سريعًا لحضور الافتتاح..

لم تعلق بكلمة، واندفعت خلفى، بينما كان كل تفكيرى يدور حول نقطة واحدة..

هناك شيء ما سيحدث..

.. لا شك فى هذا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٢- المخابرات العلمية..

بعكس ما توقّعت؛ كان العدد كبيرًا..

الاجتماع، أو هذا الحفل الصغير، أو الافتتاح - سمّه ما شئت فلا تهمنى الأسماء - كان فى قاعة الاجتماعات الكبيرة، فى دائرة المخابرات العامة، والتى - لأجل الحفلة - قاموا بإجراء بعض التعديلات فيها وعليها..

كان هناك الكثير من ضباط الجيش، والشرطة، والقوات الخاصة، والمخابرات العامة.. رتب كثيرة، ونجوم، وقلادات، وأوسمة، وبعض الصحفيين، بالذات (يوسف) الذى كان متحمسًا أكثر من اللازم، لكنه محبط أيضًا؛ حيث منعه من التقاط أى صورة، بل وأملوا عليه الخبر الذى سينشره، لأنّ أى تفاصيل أخرى زائدة عن المطلوب لن تكون مفيدة لأحد!

كان هناك الكثير من الحلوى، والمشروبات الغازية، والعصائر الطبيعية، وكنت أنا هناك طبعًا، مع (ديمترى) الذى أحضر بومته معه، و(منذر) الذى ارتدى أفخر بذلة رسمية لديه.. كان شكله جديدًا على، لكننى سخرت منه، ومن ربطة عنقه التى لا تتفق ألوانها مع بذلته!

قبل قليل ألقى رئيس المخابرات العامة كلمة لطيفة، أشاد فيها بدور (ديمترى) بتكوين القسم الجديد، وعزّف الجميع على رئيس القسم، ومساعدته، دون أن يذكرنى أو يذكر (منذر).. ففعلينا نحن لسنا أكثر من متعاونين، أنا بصورة غير رسمية مهما كان لى دور بما جرى وسيجرى، و(منذر) بصورة رسمية، ولكن من دائرة أخرى..

(ديمترى) معه صلاحية تتيح له طلب أو استعمال أى شىء فى القسم الجديد، كما أنّ (منذر) مخوّل - أيضًا باستعمال وطلب أى قوات تابعة لجهاز الشرطة والجيش، حسب اتفاقية مبرمة بين الجهات الأمنية الثلاثة؛ الشرطة والجيش والمخابرات العامة..

يقول (ديمترى) وهو يحتسى قليلًا من كأسه الممتلئة بعصير الفراولة، متأملًا الجميع بعينين تبرقان:

- أنا سعيد للغاية..

يقول (منذر) وهو يضع قطعة حلوى فى فمه:

- كرانش! ليس من الضرورى أن تقول هذا لأحد، ملامحك تصرخ بانفعالك هذا منذ أن وصلنا..

أتساءل وأنا أشرب من كأس النيسكافيه الساخن الذى يسترخى بين أصابعى:

- هل ذهبتما إليه؟!

- ما هو؟!

يسألنى (منذر) فى غباء، فأجيبه:

- القسم الجديد طبعًا!

يسارع (ديمترى) للإجابة، بعد أن تئاءب:

- نعم، منذ ساعتين تقريبًا.. ذهبت أنا و(منذر) ورأيناه، وتعرفنا على من فيه..
إنه جميل جدًّا، وفيه كل ما نحتاج وأكثر، وخصوصًا القسم التقنى الذى ستكون
مشرقًا عليه..

القسم التقنى؟!

سأكون مشرفًا عليه؟!

- عن ماذا تتحدث؟!

أسأله فى دهشة شديدة، ينظر لى فى دهشة مماثلة ويجيب سؤالى بسؤال:

- هل تعرف عن هذا؟!

- لا!

- ستكون أنت مشرف القسم التقنى فى قسم المخابرات العلمية الجديد!

أبتسم:

- لا شك أنك تسخر..

يهز رأسه نفيًا، ويقول فى جدية:

- لا.. لا أسخر، ربما يخبرونك بهذا اليوم..

أخذ الوقت يمضى بعدها ونحن نتحدث، ولم ننتبه أن (منذر) ليس معنا منذ
أكثر من عشر دقائق؛ إلا عندما عاد وبرفقته مدير المخابرات العامة..

كان رجلًا مهيبًا بحق، طويل القامة ممتلئ البدن، يرتدى بذلة رسمية أنيقة
للغاية، وكان يضع سيجارة طويلة رفيعة فى فمه.. عيناه زرقاوان وشعره
أسود.. كان يبدو أقرب إلى نجم سينمائى وليس كمدير مخابرات..

- العميد (مراد أحمد)..

قالها ومد يده إلى الأمام، صافحته فى رهبة، وعرفته على نفسى، وتحدثنا بعدها قليلاً حول المهمتين الماضيتين، وسألنى عدة أسئلة عن (الياب)، وعن ذلك المسافر الزمنى الذى كان ينتظر لقائى فقط كى أقول كلمتين بصوتى..

رباه! هل فعلاً حدثت هذه الأشياء معى؟!!

يقول لى، بصوت فخم يتناسب جدًّا مع هيئته:

- ستكون مشرف القسم التقنى هنا، فى القسم الجديد، وحتى لو كان هذا عن بُعد.. خيراؤنا الذين سيكونون تحت أمرتك جيدون جدًّا ولكنك تفوقهم بالسن والخبرة، لقد مررت بالكثير حسبما عرفت وقرأت فى ملفك..

أبتسم، وألوح بيدي اليمنى فى لا مبالة محاولاً أن أقول فى تواضع، وخرج:

- هذا ليس أكثر من حظ فى هذه الحياة فقط، أنت تعرف كم هى غريبة الحياة.. غريبة جدًّا، جدًّا..

يبتسم، ويدير وجهه، ألمح طرف ابتسامة على وجه (منذر) أفهم منها أن ردى كان طفولياً فلسفياً جدًّا!

يقول لى وهو ينظر إلى عيني مباشرة:

- (سامر)، أنت رجل مهم بالنسبة لنا، ونريد منك أن يتطور هذا القسم.. كُن واثقاً أننا سنكون معك كما تريد وأكثر، ولن نبخل عليك بأى شىء..

يهمّ بالابتعاد، قبل أن يردف:

... آه تذكرت، غداً ستجد سيارة تاكسى جديدة أمام باب منزلك، سيحضرها لك أحد عملاء المخابرات العلمية الجدد..

يقولها وابتعد نحو مجموعة من قادة الجيش، دون أن يترك لى أى فرصة للحديث أو التمتع أو الرفض..

يصفق (ديمتري) فى بطء،، ويقول (منذر):

- أرايت؟! لم يكن الأمر مقلقاً أبداً.. لقد منحك الرجل سيارة جديدة، وعيّنك مشرفاً على القسم التقنى عن بعد، تمامًا مثل (ديمتري).. أى راحة تريدها أكثر من هذا؟!!

أقول محتجًا، وقد أحسست بثقل يسقط على ظهري:

- وهل تسمى هذا راحة؟! الرجل - فقط - زاد من مسئولياتى وواجباتى.. هذا بعيد جدًّا عن الراحة، إلا لو كنت تعنى فيها شيئاً آخر لا أعرفه!

فى هذه اللحظة مرت سيدة أمامنا، جميلة بشعر أسود وعينين سوداوين كالفحم، تقترب منا وتسلم علينا، تقول لى:

- سمعتُ عنك الكثير يا سيد (سامر)..

أقول بحرج:

- أرجو أن يكون ما سمعته خيرًا..

تقول:

- كل الخير، أنت رجل رائع، وزوجتك محظوظة بك!

يندفع الدم فى وجهى إثر قولها هذا، ليس بسبب الخجل طبعًا بل بسبب الحرج من وقاحتها.. هى سيدة جميلة، وتقول هذا لى بكل بساطة أمام رجلين آخرين، عارفة أننى متزوج!

لم أجبها بغير كلمة واحدة لا تعنى شيئًا:

- أشكرك..

ابتسمت ولوحت بأصابعها وابتعدت، نظرت إلى (ديمتري) الذى تشاء ونظر لى بخبث، وهمست باستنكار كبير:

- هل كانت تغارلنى؟!

يستفزانى بعدم الإجابة، بل بالانفجار فى الضحك.. أضحك بدورى، ويقول (منذر) من بين ضحكاته:

- يبدو أنك سائق تاكسى مؤدب فعلاً، قليلون من يخلون عندما تقول لهم سيدة هذه الكلمة!

هممت بالإجابة لولا أن رن هاتفى، اعتذرت منهما لأجيب الاتصال، ووضعت كأس العصير الذى معى على طاولة قريبة، وابتعدت جانباً عن الأصوات والضجيج:

- آلو..

كانت هذه (ديالا):

- أين أنت يا (سامر)؟!

أقول فى قلق كمن يتوقع سماع مصيبة:

- لا زلت فى الاحتفال يا حبيبتى، هل هناك شىء؟!

تقول:

- نعم، هناك تلك الرائحة.. الرائحة الغربية تلك..

بعد كلامى مع العميد، وكلامى مع السيدة الوقحة قبل قليل، كنت نسيت كلَّ
شئ عن الرائحة إياها!

- أى رائحة يا حبيبتى؟!

تجبنى:

- الرائحة التى أزعجتك اليوم قبل تناول الغداء.. إنها تزداد باطراد، ويبدو أننى
ميزت ماهيتها، أخيرًا..

أسأل ببساطة:

- مثل ماذا هذه الرائحة؟!

تجبنى ببساطة مماثلة:

- تبدو كرائحة الجثث!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٣- رائحة جثث يا (سامر)!

أهتف، وأنا أعتصر الهاتف بيدي:

- ماذا؟!!

تقول في توتر:

- رائحة جثث يا (سامر).. إنها في كل المبنى، وأكاد أقسم أنها قادمة من بيت جارتنا (سو)..

أقول باختصار:

- حسناً، سأرى الأمر فور انتهائي من الحفل.. وداعاً، إلى اللقاء..

وانتهيت الاتصال..

تعرفون أن لي جارة رومانيّة أرملة اسمها (سو)، وعندها كلب اسمه (سا)، والذي مات زوجها (سى دنتيسيوس) قبل ثلاث سنوات تقريباً بعد أن قتله بعض الرعاع!

غريب.. انتهت الآن فقط أنني لم أرها منذ ثلاثة أيام.. ثلاثة أيام بالضبط!

أحياناً تكون هناك أشياء أمام أعيننا تماماً، لكننا لا نراها.. لسنا بحاجة وقتها إلّا إلى محقّر، رائحة ما، كلمة ما، مشهد ما؛ يجعلنا نرى هذه الأشياء الخفية كما هي، بكل وضوح!

ترى هل ماتت؟!!

هل ماتت في شقتها، وهذه الرائحة تأتي من جثتها؟!!

لا أحد يزور (سو).. حقاً، منذ عدة سنوات لم أشاهد أحداً يدخل أو يخرج من شقتها سواها هي وكلبها الضخم اللطيف، والذي لا ينبج مطلقاً..

من ينفق عليها؟! كيف تعيش وتأكّل؟! هذه أسئلة لم أسألها لنفسى من قبل.. هي في نظري حية وكفى، لم تطلب معونة أو مساعدة من أحد يوماً..

ترى هل ماتت (سو) فعلاً؟!!

أبتسم وأسخر من نفسى.. كفّ عن الجنون يا (سامر) فهذا ليس وقته.. أبداً ليس وقته يا عزيزى الوغد!

أعود نحو (منذر) و(ديمترى)، نتحدث قليلاً، نتعرف على الموظفين الجدد فى القسم الجديد.. يبدون لطفاء حقاً.. تعرفنا بعدها على العميد (قاسم داود)، مدير قسم المخابرات العلمية الجديد..

عميد وعميد، (مراد) و(قاسم)؛ يعلم الله وحده سر تركيزهم على هاتين الرتبتين، أو أنها صدفة لا أكثر!
يرن هاتفى فجأة..

يقول (منذر) فى ضيق:

- لا تردّ على هذا الاتصال، لم نتكلم فى موضوع مفيد منذ أن وصلنا هنا!
أقول مخرجاً هاتفى:

- إلّا هذا، لا تدري ما الذى يمكن أن يحمله الاتصال!
وأرفعه نحو أذنى، قائلاً:
...آلو!

يأتينى صوت لم أسمعه منذ المغامرة السابقة:
- مبارك عليك المنصب الجديد يا سيّد (سامر)..
أهتف:

- الممرض الشاعر!

أقولها وأنفجر ضحكاً دون سبب منطقى.. (همام خميس) الممرض الشاعر، الذى يتصل بى ليبارك لى استلامى هذا المنصب، لكن؛ كيف عرف؟!
لم يترك لى مجالاً لأسأله، إذ سارع ليقول:

- أخبرنى (منذر) بهذا الأمر اليوم، ودعانى للحضور لولا أننى لا أحبّ هذه الأجواء الرسمية الأمنية، أفضل النوم تحت عجلات حافلة نقل عام ضخمة على هذه الأجواء!

ما شاء الله يا (منذر)!

تدعو صديقاً لك كى يحضر إلى افتتاح القسم الجديد للمخابرات العلمية، وكأنك تدعوه لاحتساء فنجان قهوة معك فى بيتك الخاص؟!

من الجيد أنك لم تحضر يا (همام)، وإلّا نال (منذر) التقريع الذى يستحقه!
تبّاً لك يا (منذر).. تبّاً لك!

يبتسم (ديمتري) و(منذر)، وأقول:

- إذا فقد أخبرك بكل شيء؟!

يقول بطريقة جعلتني أبتسم:

- نعم، كل شيء..

أقول في فخر:

- ليس كل شيء في الحقيقة، فهناك سيارة تاكسي جديدة منذ الغد، هدية لي من المخابرات العامة..

يضحك، وقد ظهر على صوته أن الخبر أعجبه:

- مع أنني أصبحت أكره هذه الكلمة لأنه يرتبط بشدة مع اسم أحد المخلوعين؛ إلا أنني سأقولها لك مرتين: مبارك يا صديقي الجميل، مبارك..

وغير لهجته فجأة، قبل أن يستطرد في جدية:

... عليّ كلّ حال، لم أتصل بك لأبارك لك ولهما فحسب، ولكنّ هناك قضية، أشعر أنكما المسؤولين عنها، خصوصًا مع افتتاح القسم الجديد!

أعقد حاجبي، وأعطى إشارة إلى (منذر) و(ديمتري) ألا يتعدا أو ينشغلا مع أحد، وأبتعد قليلاً لأسمعه كما يجب، وأقول له مستفسراً:

- أي قضية هذه يا (همّام)؟!

يزدرد لعابه، أسمع صوته يعبث بأوراق أمامه، أو بملف فيه عدة أوراق بين يديه، وبجيب:

- هناك حالة جاءت إلى المستشفى قبل عدة أيام، الحقيقة أنها حالة غريبة وشاذة جدًّا، وهي المرة الأولى التي تحصل هنا، أو في أي مكان آخر..

وسكت قليلاً، وأردف:

- كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة فجراً، وكنت في الوردية الليلية، وأحضروا لنا شاباً ممزقاً..

- وأين الغريب في هذا؟! إنها مجرد جريمة قتل عادية كما أرى يا (همّام)!

أقاطع، فيسكت ويسمعني، ثم يقول في عتاب:

- لكنني لم أقل إلا اليسير يا (سامر)..

أقول معتذراً:

- أنا آسف؛ حسناً، أكمل..

يتنهد ويكمل:

- الشاب كان ميتاً قبل أن يحضره لنا بيوم، كما أنه كان مدفوناً في قبره وملفوقاً في كفنه، لكن أحدهم جاء ليلاً ومزقه، وأحضروا لنا الجثة بعدها بساعتين..

بدأ الموضوع يثير فضولى.. أسأله:

- غريب! هل هناك شهود؟!

يبدو أنه كان يتوقع السؤال، إذ أجاب على الفور:

- هُناك الحارس الذى ما زال مذكوراً حتى هذه اللحظة، قال إن هناك شخصاً أو شيئاً أثار فضوله فى الظلام، وخاصة عندما أصدر صوتاً عند أحد القبور بالذات، وإنه حاول أن يتعرف على شيء من تفاصيله دون جدوى.. كان ذلك الشخص يرتدى السواد، بصورة كافية لجعل ملامحه غير مرئية فى العتمة..

أسأل:

- وما الذى رآه بالضبط؟!

يجيب:

- رآى القبر مفتوحاً، والرمال كلها ملقاة خارجه، دون أن تكون هناك أى أدوات قريبة.. لم يكن هناك سوى الشخص المتشح كاملاً بالسواد، والجثة التى أخرجها هذا الشخص من كفنها، وأخذ يمزقها..

سكت قليلاً وأخذت أفكر، سألتنى:

- هل ما زلت معى، (سامر)؟!

أجيبه:

- نعم.. نعم، قل لى: هل هذا كل شيء؟!

يقول فى سرعة:

- كلاً طبعاً، هُناك جثث أخرى!

أقول بدهشة عارمة:

- ماذا تقول؟!

يجيبنى، وقد أعجبه استيلاؤه على اهتمامى كله مجدداً:

- أحضروا لنا جثتين جديدتين، أول أمس، وأمس.. المشكلة أن كل جثة مشابهة للأخرى فى التمزق، نفس الأماكن، وذات الأسلوب..

هممت أن أسأله شيئاً، لكنّه بادرني بالإجابة بذكاء عما كنت أفكر فيه:

... واطمئنّ؛ لا يوجد أى رابط بين الجثث!

ذكى يا (همّام)، لقد توقع أن يكون هناك رابط ما بين هذه الجثث، وأن يكون هناك شخص - مثلاً - يحاول الانتقام منهم بعد موتهم.. فكرة سخيفة هى، لكن السخفاء يزددون كل يوم فى هذا العالم بشكل رهيب.. هذه حقيقة..

أباغته بسؤال لم يتوقعه:

- ولماذا اتصلت بى أنا؟! لماذا ليس مع (منذر) وهو ابن خالتك كما أعرف، أو مع (ديمتري) وهو المختص بهذه الأمور المقرفة؟! أنت تعلم أنه خبرتى فقط مع الأمور التقنية، بالذات مع منصبى الجديد!

يصمت قليلاً، ويجب بكل بساطة وبراءة:

- لم أفكر بهذا فعلاً.. أحببت فقط أن أخبرك أولاً، لأننى أردت اليوم أن أهنئك بحدثكم الكبير، وأن أخبرك كى تخبرهم! لا شك أنك ستتولى نقل الصورة لهم كما يجب..

يبدو جواباً منطقيّاً!

أقول له:

- مع أننى لست أرى فى الأمر أى غرابة، ومع أننى شبه متأكد أن الحارس يهلوس، إلا أننى سأخبرهما لعلنا نمرّ عليك فى المستشفى غداً، إن شاء الله..

يصرخ فى أذنى، بينما يقترب منى (منذر) و (ديمتري)، وقد شعرا أننى أطلت فى الكلام مع (همّام):

- بل الآن!

أهتف فى دهشة:

- ماذا؟!

يقول فى إصرار:

- الآن!

أقول متمنّياً فيما يشبه الاعتذار:

- لكنّ هذا مستحيل، الساعة تجاوزت التاسعة بقليل، ولا يمكننا أن...

يقاطعنى بصرامة لم أتوقعها منه:

- يا (سامر)، الجثث مطعونة فى القلب بسكاكين سوداء!

أصمت.. هذه معلومة غريبة فعلاً، وجديدة..

... وبدون أحشاء!

هذه معلومة أخرى، أكثر غرابة من الأولى..

... وبدون عيون!

ماذا؟!

بدون عيون؟!

هل أنت تهلوس أيضاً يا (همام)؟!

لم يسمع أيّاً من هذه الأسئلة، لكنّه أراد صدمى تمامًا بمعلومة أخيرة، جعلتنى أغلق الخط معه، وأتجه مباشرة وبدون إبطاء نحو (منذر) و (ديمتري):

... وبدون ألسنة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٤- جثث بدون أحشاء وعيون وألسنة!

شرحت الأمر كلّهما، ونحن فى السيارة..

قبل أن نهبط إليها ونركب فيها، أخبرتهما نبذة سريعة ونحن هناك فى الأعلى، واستأذنا من العميد (قاسم)، مبررين له خروجنا من الحفل، بأننا متوجهون إلى ما يبدو أنه مهمة جديدة، هى الأولى رسميًا لقسم المخابرات العلمية الجديد..

يقول (منذر):

- وأين سنذهب الآن؟!

أهتف بحنق:

- إلى المستشفى بالطبع يا (منذر)!

أحيانًا يتصرف هذا الرائد بطريقة مثيرة للاستفزاز.. يشعرنى فيها أنه غبى، أو أنه رجل أمن أكثر من اللازم، يتصرف بناء على غريزته، أكثر من تصرفه بناء على تفكيره!

اقتربنا من المستشفى كثيرًا، وقال (ديمتري) بعد أن تئأب:

- متى بدأت الأحداث؟! أحداث القتل هذه؟!

أجيبه، وأنا أتذكر فحوى كلامى مع (همام):

- منذ عدة أيام..

يسألنى:

- كم تقريبًا؟!

- ثلاثة..

- هممممم! ثلاثة جثث، فى ثلاثة أيام!

جميل.. ها هو (ديمتري) ينتبه لنقطة جديدة لم ننتبه لها! ثلاثة جثث فى ثلاثة أيام؛ هذا يعنى جثة جديدة كلّ يوم!

هل سيستمّر هذا؟!

هل يعنى هذا ما أفكر به؟!

أهمّ بالسؤال لولا أن يسارع (منذر) ويسأل بقلق:

- هل يعنى هذا أن هناك جثة رابعة اليوم؟!

ستبقى دومًا مثار أسئلتى يا (منذر)، بذكائك أحيانًا، وغبائك أحيانًا أخرى،
وتذبذبك الغريب بينهما!

يهزّ (ديمتري) رأسه، ويقول:

- على الأغلب نعم، ما لم نكتشف شيئًا..

نصمت بعد جوابه، وقد انشغل كلّ منا بالتفكير فى الموضوع من كلّ جوانبه،
قبل أن نصل إلى المستشفى..

نغلق السيارة ونهبط منها ونتوجه مباشرة نحو الاستقبال:

- مساء الخير، نريد (همام خميس) لو سمحت..

نقولها للموظف المسئول المشغول باللعب على حاسوبه، لا بدّ أنها (المزرعة
السعيدة) أو ما شابهها، لا بدّ!

تمر دقائق كالدهر، قبل أن يظهر (همام) من الممر المقابل، مقبلًا نحونا
بسمنته، ووجهه اللطيف الطفولى المريح.. نصافحه، ويتعانق (منذر) معه،
قبل أن يقول:

- اتبعونى..

نتبعه، وقد أزعجتنى رائحة المطهرات والمعقمات التى تعطى للمستشفيات
نكهة خاصة لا أحبها البتة.. بالذات مع تلك الملابس البيضاء والخضراء فى
كلّ مكان.. هل هذه أشياء مريحة للعين؟!

أجدها مزعجة جدًّا بالنسبة لى!

نصل إلى باب ضخم مكتوب عليه كلمة واحدة مخيفة، تكفى لتكوين ألف
صورة فى البال:

المشرحة!

ندخل خلفه، ونتفاجأ بذلك المشهد.. نعم، لقد توقعناه، ولكنه كان غريبًا جدًّا
على عيوننا..

أنا بالنسبة لى، لم أر شيئًا كهذا منذ زمن طويل.. هو ليس كهذا بالضبط،
ولكنّه قريب منه!

ثلاث جثث، واحدة منها لشاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، والثانية لرجل تجاوز الخمسين، أشيب الشعر جدًا، والثالثة لامرأة ثلاثينية، كانت جميلة الملامح فيما بدا لي مما تبقى من ملامحها!

اشترك الثلاثة في السكاكين السوداء الكبيرة تلك، المستقرة في قلب كلٍّ منهم، والبطن المفتوح، الفارغ، الذى لم يعد فيه إلا بقايا الأحشاء التى كانت موجودة فى الداخل، والعيون التى تحولت إلى فجوات خالية من أى شىء سوى بعض الأعصاب المقطوعة والدماء المتجلطة، والفم المرعب طبعًا.. الفم المفتوح بقوة، والذى لا نرى شيئًا فيه من هذه المسافة!

يغمرنى الاشمئزاز، هذه المشاهد توترنى جدًا..

يتوجه (ديمتري) نحو أول جثة، يتأملها، و:

- قفازات يا (همام)، ومبضع..

يهرع (همام) إلى خزانة بلاستيكية قريبة، ويفتحها، ليحضر منها ما يريد (ديمتري)، بينما قال لى (منذر) وهو يتابعه بعينه، وقد انشغل بفحص الجثة الأولى بأصابعه، بعد ارتدائه القفازات الطبية البيضاء:

- ما رأيك فى هذا يا (سامر)؟! ما هذا بالضبط؟!

أقول مشيخًا بوجهى عن المشهد المقرز:

- لا أدري، وأعتقد أن (ديمتري) سيخبرنا بما نحتاج معرفته بعد الفحص، ولعله يكتشف شيئًا.. بالنسبة لى فأنا أرى الأمر نوعاً من الطقوس الدينية أو العقائد الغريبة تلك.. ربما من فعل هذا جماعة من عبدة الشياطين، أو مجنون ما، أو إحدى الحالات الخطرة نفسيًا.. ربما هو قاتل متسلسل!

يقول لى فى استنكار:

- قاتل متسلسل؟! هنا؟!

أقول فى جدية:

- لا تعرف ولا أعرف.. ربما، فقط ربما.. وما أدراك؟! لعلنا نشهد ولادة هذا النوع من القتل هنا لأول مرة!

أتابع (ديمتري) بعينى، وقد انشغل معه (همام)، يحضر له كل قليل أداة جديدة، تساعد على فحص الجثث، وعلى استكشاف ما لا يصل إليه بأصابعه، فى الفم والبطن، وفى العيون بالذات، قبل أن يلتفت - (ديمتري) - إلى (منذر) ويقول:

- (منذر)! أنا جائع!

يدير (منذر) عينيه إليه، ويقول بدهشة:

- ماذا؟!

يرفع (ديمتري) يديه الاثنتين للأعلى، قفازاه غارقان بالدم، ويقول بهدوء:

- أنا جائع، أرجو أن تطلب لنا وجبة سريعة هنا.. أريد وجبة كبيرة من الدجاج، لا أريد أن يكون حارًا.. إياك! وأريد علبتين من البطاطا المهروسة، وعلبة مايونيز!

أضحك وأنا أنظر إلى (منذر)، الذى هز رأسه فى حيرة، وابتعد جانبًا رافعًا هاتفه دون كلمة واحدة..

... ولا تنسَ القليل من الحلوى، لا بدَّ منها بعد هذه الوجبة الدسمة يا (منذر)!

أردف بها (ديمتري) ثم تشاءب، وانصرف عائدًا إلى الجثة التى كان يعمل عليها.. تبادلنا أنا و(همام) و(منذر) ابتسامة واسعة، قبل أن يتصل هذا الأخير بدليل الهاتف، لأخذ رقم المطعم منهم، والاتصال عليه، وطلب ما يريده (ديمتري)!

أقترب منه ومن (همام)، محاولاً التغلب على كل مشاعر التقزز التى فى داخلى، رؤية الجثث المشوهة عن قرب تثير الكثير من المشاعر وتحرك بركة الخيال الراكدة، بعنف.. هؤلاء أشخاص كانوا قبل عدة أيام مع أسرهم وعائلاتهم، كانوا أحياء ويتنفسون كما أنا حى وأتنفس الآن!

أقول موجهًا كلامى إلى (ديمتري):

- هل هناك شىء جديد؟!

يقول فى اهتمام، وهو يتفحص فم المرأة:

- هناك شىء شككت به فى جثة الشاب، وازداد شكى أكثر عندما فحصت جثة الرجل، والآن أنا متأكد تمامًا منه..

أقول فى شغف:

- وما هو؟!

يرفع رأسه مرة واحدة، ويقول لى فى ثقة، وعيناه تبرقان بشكل عجيب:

- هناك آثار مخالب!

ساد الهدوء قليلاً بعد عبارته..

أنظر له أنا و(همام) فى شكٍّ ممتزج بعدم تصديق، مما جعله يردف مباشرة:
... شككت بالأمر للوهلة الأولى، واستبعدته تمامًا، لكنني تأكدت أكثر فى
المررة الثانية والثالثة.. هناك آثار مخالِب لا مجال للخطأ فيها أو بتخمينها!
الشئ أو الشخص الذى فعل هذا بالجثث هو ذات الشخص، هذا شئ
معروف، ولكن غير المعروف أنه لديه مخالِب!

وتناول عدسة مكبرة مشيرًا نحو خدوش واضحة على اللسان من الداخل:
... هل ترى هذه؟! إنها من آثار المخالِب.. أستطيع تمييز المخالِب بكلّ دقة،
وهذه الآثار موجودة فى الجثث الثلاث، فى الفم، وفى البطن، وفى محاجر
العيون من الداخل كذلك!

أترجع إلى الخلف خطوتين..

كأُما ينقصنى التفكير فى الأمور العجيبة!

الحياة ممتلئة بكل ما هو غريب، وكل يوم نسمع ونقرأ فى الصحف والمواقع
الإلكترونية أخبارًا لولا أنها من مصادر موثوقة لقلنا إنها خيال رخيص، وبعد
هذا يخبرنى (ديمترى) أن هناك مخالِب، تعود لشخص، فرَّغ الجثث الثلاثة التى
أمامى من الأحشاء والعيون والألسنة؟!

ما هذا بالضبط؟!

يقترِب (منذر) حاملاً هاتفه، ويسأل عن الأمر، فأجيبه باختصار، قبل أن أقول:

- هل كنت تطلب الوجبة طوال هذا الوقت؟!

يقول فى خطورة:

- كلا طبعًا، كنت أتكلّم مع الإدارة، يريدون منى الحضور فى الصباح لأجل أمر
عاجل، لا عليك..

يضحك (همام) فى سخرية، ويقول بكل صراحة:

- الإدارة؟!

ويلتفت لى:

... إنه يكذب! هذه (هيام) على الأغلب!

أنظر بدهشة نحو (منذر)..

(هيام)؟!

هل تحبّ وتعشق دون أن تخبر أحدًا أيها اللعين؟!
يندفع الدم في وجه (منذر) إثر عبارة (همام).. لا أدري إن كانت هذه علامة
حرج وخجل، أم غضب!
يقول (منذر) مدافعًا عن تهمة لم يتهمه فيها أحد:
- كلا، ليست (هيام)، إنهم الإدارة حقًا..
أقول في خبث:
- ومن (هيام) هذه؟!
يصمت، ويقول (همام):
- إنها فتاة يتكلم معها سرًّا منذ عام وأكثر، لم نرها حتى الآن ولا مرة واحدة..
ولم نعرفها أو نعرف ملامحها بعد، يقول إنه لن يفعل هذا إلا إذا تقدم لخطبتها
من أهلها!
أنظر إلى (منذر)، يبدو محرّجًا جدًّا، أهم بقول شيء ما لولا أن (ديمتري)
سبقني بقوله في ظفر:
- من الواضح أنني عرفت جيدًا ما الذي يدور هنا..
يسارع (منذر) بسؤاله - ربما للخروج من حالة الإحراج التي تملّكته للحظات:
- ماذا؟!
يقول:
- يبدو أننا نتعامل مع طراز جديد من أكلة لحوم البشر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٥- أكلة لحوم البشر..

يشرح (ديمتري) فى هدوء:

- الأمر واضح جدًّا، هناك عيون غير موجودة، وألسنة، وأحشاء أيضًا.. هل أخذها القاتل لبييعها أو يتسلى بها أو يحتفظ بها فى قوارير زجاجية مثلًا؟! كلا.. لقد أكلها على الأغلب، هذا ما أؤمن به الآن وبشدة.. لا ننسى المخالب أيضًا فهى الدليل الأول هذا..

يقول (همام) موافقًا إياه:

- أضُمَّ صوتى إلى صوتك يا (ديمتري)..

يقول (منذر) باستغراب:

- أكلة لحوم بشر؟! هل نحن فى الكونغو أو الكامبيون حتى نقابل هذا الطراز من المتوحشين؟!

يقول (ديمتري) ملوحًا بيديه فى الهواء:

- وهل أكلة لحوم البشر فى الكونغو أو الكامبيون فقط أيها العبقري؟! إنهم فى كل مكان.. إنهم فقط ينتظرون الوقت المناسب أو الفرصة المناسبة أو الحافز المناسب..

الحافز المناسب؟!

عن ماذا تتكلم بالضبط يا (ديمتري)؟!

أسأله:

- أى حافز بالضبط؟!

يقول (ديمتري) وهو يتحرك، ويمشى بسرعة، ناظرًا للأرض دلالة على انفعاله:

- هل سمعتم من قبل عن الوحوش النائمين؟!

يقول (منذر) فى سخرية:

- سمعت عن الأميرة النائمة!

نتجاهل عبارته، وأقول بجديّة:

- بالنسبة لى فقد سمعت عن الجواسيس النائمين!

يفرق (ديمتري) أحد أصابعه، ويشير لى بسبابته:

- بالضبط، بالضبط.. الوحوش النائمون يتشابهون مع الجواسيس النائمين بفكرة بسيطة.. الجواسيس النائمون هم جواسيس تم تدريبهم وزرعهم فى مكان حساس منذ زمن بعيد، ومن ثم ينقطع الاتصال بين الجاسوس وبين المخابرات التى وظفته ودربته، وبعد عدد لا بأس به من السنوات، وحين يكون هذا الجاسوس فى منصب مهم؛ يعود التواصل بينه وبين المخابرات، التى تبدأ بعملية ابتزازه كى يفعل كل ما يريدون، بعد أن يكون قد نسى أمرهم تمامًا، وظنّ أنهم نسوه!

يتوقف قليلاً ليلتقط أنفاسه، ويكمل بعد أن تتأب:

... أما الوحوش النائمون فهم وحوش لا يعرف أى منهم أنه وحش! هو فقط ولد بهذه الصفة فيه، وعاش حياته بشكل طبيعى للغاية، ولم ير من نفسه أى تصرف خارج عن الإطار البشرى المعتاد.. لكن، من الممكن أن يأتى حادث ما ويحرك هذه الصفة أو الكيان المختبئ تحت جلده.. ربما يكون تعويذة غامضة، أو رؤية كتاب أو مشهد ما، وعلى الأغلب سيكون حادثه كونية؛ كسوف للشمس ربما، أو خسوف للقمر، أو زلزال فى منطقة معينة، أو بركان فى جزيرة وسط المحيط.. لا نعرف بالضبط؛ الحافز الذى يفعل هؤلاء الوحوش النائمين مجهول تمامًا بالنسبة لنا، ومن خبراتى البسيطة معهم أعتقد أننا سنجد شيئاً واحداً على الأقل قد حدث خلال الأيام الماضية، حدثاً كونياً واحداً.. أسأل بدهشة:

- هل لك خبرات سابقة مع الوحوش النائمين؟!

يهزّ يده فى لا مبالاة، ويقول:

- نعم، القليل منها.. المهم الآن أن نقوم بعملية بحث لأرى إن كنتُ محققاً أم لا..

لم يكذب يده عبارته حتى سمعنا صوت خطوات تقترب من باب المشرحة، وصوت أحد الممرضين ينادى على (همام)..

قال (منذر) متوجهاً نحو الباب:

- إنه المطعم..

يفرك (ديمتري) يديه كالأطفال، ويمد يده ويتحسس لحيته الطويلة.. ربما هذه الحركة لا إرادية، تحدث معه عندما يحين وقت تلبية نداء الجوع!

نجلس وتتناول الطعام، إنه لذيذ فعلاً وشهى، يبدو أن ذوقى فى الطعام يتشابه مع ذوق (ديمتري)!

الغريب أننا وسط مشرحة، نمارس فعلاً يختص بالأحياء جدًّا، ونأكل ونمزح مع بعضنا بشكل عادى، وكأنما ليس هنالك عدة جثث مشوهة من حولنا! نحن مجموعة غريبة جدًّا.. غريبة جدًّا..

أفكر بهذه النقطة وأنا أدرس قطعة من الفخذ فى فمى، ليؤكد لها لى (همام) المعلومة فورًا، بيتين من الشعر يصفان سعادته عندما حضر الطعام!

يرنّ هاتفى فجأة، وأنا على وشك الانتهاء، إنها (ديالا)، لقد قلقت بالتأكيد لأننى تأخرت حتى هذا الحدّ.. أمسح يدي بواسطة المناديل المعطرة التى جاءت مع الوجبة، وأرد عليها بسرعة قدر استطاعتي:

- نعم يا حبيبتي..

يأتينى صوتها الجميل يقول لى فى حلق:

- أين أنت يا (سامر)؟! الساعة تجاوزت العاشرة والنصف بقليل.. هل ما زلت فى الاحتفال؟!

أوف! لقد نسيت أن أخبرها أننى خرجت..

أجيبها، وأنا أرى (منذر) و(ديمتري) و(همام) ينهضون ويمسحون أيديهم بذات المناديل المعطرة:

- كلا لسْتُ فى الاحتفال، لقد خرجت فى زيارة قصيرة إلى المشرحة.. و...

قاطعتنى فى دعر:

- مشرحة؟!

خوف أى امرأة من هذه الأمور ضرورى جدًّا، إنه علامة مسجلة لكلّ واحدة منهنّ، بالإضافة إلى الخوف من الظلام، والصراصير، وأن تكون هناك نسوة جميلات أكثر منها مثلاً!

أقول لها بصوت هادئ، جعلها تطمئنّ قليلاً:

- لا تقلقى، هى مجرد زيارة عابرة.. نحن فى المستشفى الذى يعمل فيه (همام)؛ مستشفى الإخلاء.. هناك حادثة قتل وكان لا بدّ لى من الحضور، سأتى بعد قليل.. هل هناك شىء؟!

تقول:

- كلا.. هى فقط الرائحة الكريهة، إنها تزداد يا (سامر)، لا أدري ما الشيء الذى تفعله (سو) فى الداخل بالضبط.. تراها ماتت؟!

أنا وزوجتى نفكر بذات الطريقة، ونسبح على ذات الموجة!
أضحك وأقول:

- لا أعتقد هذا، ما زالت شابة فى السبعين من عمرها! سأمر عليها صباحًا
وأتكلم معها حول هذا الأمر..

تقول:

- حسنًا، لا تتأخر..

أنهى المكالمة، وأرى (ديمتري) يمسح فمه، ثم يقول:

- نريد سيارة إسعاف!

يسأله (منذر) فى حذر:

- لماذا؟!

يلتفت إليه (ديمتري)، ويقول ببساطة بعد أن تئأب:

- كى تنقلوا هذه الجثث عندى، إلى الشقة.. أدواتى التى أحتاجها ليست هنا،
وهذا يكاد يصيبنى بالجنون!

يتجه (همام) إلى الخارج لطلب سيارة إسعاف، بينما نظرت أنا و (منذر) إلى
(ديمتري)..
لا يستطيع (ديمتري) العمل بدون أدواته وآلاته، خصوصًا وأن نسبة كبيرة منها

هى من اختراعه وتصميمه وتجميعه.. تعرفون أنه مختص بالفيزياء الكيميائية،
وأنه يدمج ما يفعله بالتكنولوجيا! كما أن هناك (فايو سكاشيتشى) أيضًا!

أسأله وقد تذكرت هذه الجثة المشحونة بالكهرباء، والتى يستشيرها (ديمتري)
كثيرًا، ولم يستشيرها اليوم:

- لماذا لم تستشر (فايو) بشأن الجثث؟!

يضرب رأسه، ويقول وفى صوته نبرة عتاب لذاته:

- الشريحة التى فى رأسى معطلة! لا بد أن أصلحها فور عودتنا إلى الشقة
معكم ومع الجثث!

يقتررب (همام)، ويقول:

- السيارة فى الخارج..

نتعاون أنا و(همام) و(منذر) و(ديمترى)، مع اثنين من الممرضين، على إخراج الجثث إلى الخارج، على النقالات، بعد أن غطيناهما سريعًا بشكل جيد.. لا نريد أن تثير هذه الأشكال المشوّهة أى نوع من الذعر فى المستشفى!

الساعة الآن: الحادية عشرة ليلاً، تقريبًا..

نركب فى السيارة، سيارتى، وأشير إلى سائق سيارة الإسعاف أن يتبعنى، وفجأة ارتفع رنين هاتف (منذر)، بنغمة معروفة لأحد مطربى (الراب) الأمريكيين الزوج!

- آلو..

يقولها، يبدو الاهتمام والجدية والخطورة على وجهه وهو يستمع لمحدثه.. ترى هل هى المعشوقة السرية (هيام)، أم أنه فعلاً يتحدث مع أحدهم؟! يغلق هاتفه، يزفر بقوة، يقول لى:

- توقف جانبًا.. توقف يا (سامر)..

أتوقف بسرعة على اليمين، وألتفت إليه قائلاً فى قلق، وقد انتبهت أن سائق سيارة الإسعاف قد توقف خلفى:

- ماذا هناك؟!

يقول:

- هناك جثة رابعة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٦- هُناك جثة رابعة!

ألا تريد هذه الليلة أن تنتهى؟!

أنزلت (منذر) الذى طمأننا وقال إنهم فى الإدارة سيرسلون له سيارة شرطة سريعًا.. طبقًا تم تحديد مكانه بواسطة هاتفه المحمول، المتصل بالأقمار الصناعية والإدارة، معًا..

توجهت بعدها ومعى (ديمتري) نحو الشقة، لم نأخذ (همام) معنا فقد انتهى دوره حتى هذا الحد..

أوصينا (منذر) بأن يحضروا الجثة الرابعة إلى الشقة!

وصلنا هناك، تعاونا جميعًا حتى صارت الجثث على الطاولة الكبيرة فى شقة (ديمتري).. الشقة العجيبة!

كنت أنا قد وصلت الحد الأخير من الإرهاق حتى هذا الحد، أشعر أننى متعب للغاية ولا بد أن آخذ قسطًا من الراحة..

يقول (ديمتري) بعد أن تشاءب، وهو ينظر إلى عينى:

- تبدو مرهقًا، اذهب إلى بيتك وعائلتك الآن، شكرًا لك جدًّا فقد أتعبناك معنا اليوم.. سأكمل فحص الجثث هذه الليلة، وسأنتظر (منذر) والجثة الرابعة..

أقول:

- لو احتجتنى بأى شىء اتصل بى..

يقول بكل وقاحة، ردًّا على مجاملتى:

- طبقًا، لا شك فى هذا..

أصافحه وأهبط إلى سيارتى، أتوجه بها إلى البيت على الفور، وموسيقى (شوبان) تحاول جاهدة أن تهدئ أعصابى..

وصلت البيت، (ديالا) نائمة، و (كريم) كذلك..

أخلع حذائى، أغير ثيابى، أستعمل دورة المياه، أدرس جسدى فى الفراش، وأغط سريعًا فى نوم عميق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أيقظنى اتصال (ديمتري) الساعة السادسة والربع صباحًا..

صوت، وتناولت الهاتف، وقلت بصوت ناعس:

- نعم يا (ديمتري) ..

أتانى صوته يقظاً نشيطاً:

- هل أنت نائم؟! هل أيقظتك؟!

رباه! ما هذه الأسئلة الحمقاء؟!

أجيبه فى ضيق:

- كنت نائمًا، و... نعم، أيقظتنى.. ماذا هناك؟!

يقول بإصرار، وبلهجة حاسمة:

- يجب أن تحضر الآن!

ما هذا؟!

(همام) يطلب مئى بالأمس أن أحضر الآن، و(ديمتري) كذلك.. بقى أن يقولها (منذر)! فقط!

أقول:

- لماذا يا (ديمتري)؟!

يقول فى سرعة:

- لن أستطيع أن أقول كل ما لدى على الهاتف.. تعال بأقصى ما تستطيع من سرعة، لا تفطر فى بيتك، سنفطر هنا فى الشقة، عندى، ونحن نتحدّث حول الأمر!

أقول بحدّة:

- كلا، سأفطر فى البيت، وسأنهى بعض شئونى أولاً، وبعدها سأحضر.. إنها ليست نهاية العالم يا (ديمتري).. كل شىء يمكنه أن ينتظر، ما الهدف من خلق الوقت والصبر إدّا؟!

يصمت قليلاً، يبدو أن حدّتى فاجأته، يقول بهدوء:

- حسناً، أنه شئونك وتعال، نحن بانتظارك..

وأغلق الخط!

ترى هل غضب؟!

فليغضب، أنا لست آلياً أتحرك حسب الضغوطات على جهاز التحكم، لى حقوق وواجبات أيضاً.. يجب أن يعرف هذا..

أوقظ (ديالا) و(كريم)، أنهض وأتوضأ وأصلي، أجلس على حاسوبى قليلاً وأعبر عن غضبى قليلاً فى مدوّنتى، جميل؛ يبدو أنّ هناك المزيد من الزيارات عليها فى اليومين السابقين..

تنادبنى (ديالا) بعد ساعة إلّا ربع تقريباً، نتناول الإفطار معاً، لا أجمل من تناول الإفطار مع الزوجة صباحاً، فكيف إذا كان فى الأمر طفل أيضاً، طفل ذكى؟!

نتحاور وأسأله عن مدرسته، وأسألها عما فعلته بالأمس، وتخبرنى أنّها ستذهب إلى المركز الرياضى اليوم مرة أخرى لتسجل فيه، لقد ذهبت بالأمس إليه وأعجبها..

أعجبنى هذا، هكذا ستستغل وقتها، أو على الأقل ساعتين منه أثناء غيابى وغياب (كريم).. أعجبنى هذا..

أرتدى ثيابى، أودّعها وأنزل مع (كريم) إلى الأسفل.. وهناك كانت السيارة الجديدة تنتظرنى، سيارة صفراء حديثة، لها ذات رقم سيارتى القديمة، وذات الإكسسوارات والإضافات التى كانت فيها.. سيارتى القديمة لم تكن هنا! لا بدّ أن العملاء جاءوا فى الليل وبدّلوا السيارتين..

فتحتها بمفتاح سيارتى واستغربت أننى دخلتها بكل سهولة، سأخبر (ديالا) عن هذا لاحقاً، المهمّ الآن أنّ (كريم) يقفز من حولى فى سرور، قبّلته، وأوصلته إلى مدرسته، وتوجّهت بعدها مباشرة نحو شقة (ديمتري)..

السيارة قوية بالفعل..

شكراً يا إدارة المخابرات العلمية، شكراً!

وصلت هنا، صعدت على الفور، دققت على الباب، فتحه لى (منذر).. صافحته ودخلت..

- صباح الخير..

أقولها محاولاً جعل الأمور عادية، لا يعلق (ديمتري) بأى شىء حول جوابى الحاد معه، هذا مريح..

يقول وهو يقترب منى، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة واسعة لطيفة:

- صباح النور يا (سامر)..

يصافحنى، ثم يردف:

... وصل (منذر) قبلك بخمس دقائق، ولم أخبره بشيء بعد مما وجدته، ولم أتصرف أيضًا قبل مجيئكما..

قالها واتجه نحو الجثث، ها هي الجثة الرابعة هنا، لا بدّ أنّهم أحضروها هنا بالأمس، ليلاً، وأنا مستغرق في النوم..

ارتدى (ديمتري) قفازًا طبيًا واقترب من جثة المرأة بهدوء، مد يده وأمسك شيئًا..

اقتربنا منه لنرى هذا الذي في يده..

شعرة رمادية طويلة!

أقول في حيرة:

- ما هذا يا (ديمتري)؟!

يتأملها (منذر)، ويجيبني هو بظفر:

- إنها شعرة وجدتها عالقة بكفن هذه السيّدة!

يسأله (منذر) في انبهار، وجدته طفوليًا إلى درجة مشفقة:

- كيف وجدتها؟!

يجيبه (ديمتري) في زهو:

- كان لا بدّ لي من تجربة كلّ الاحتمالات.. تعلمت قديمًا كما تعلّمتما أنتما! أن المجرم دومًا يترك أثرًا.. وهنا برزت في ذهني فكرة أن أفحص الأكفان، لعلّي أجد شيئًا.. وبقدر ما كانت الفكرة غريبة، إلّا أنها كانت مفيدة!

أقول، وقد ارتديت قفازين في يدي، وأمسكت بالشعرة في واحدة، وبعدسة مكبرة في الأخرى، متفحصًا:

- تبدو شعرة أنثوية!

يتناولها (ديمتري) مني، ويقول:

- نعم، أنثوية ورمادية.. يبدو أنها تعود لعجوز ما!

يأخذها برفق وحذر، ويتجه بها إلى مجهر قريب، أتذكر شيئًا هنا وأقول له:

- هل أصلحت الشريحة التي في رأسك؟!

ينظر لي في امتنان، يهزّ رأسه نفيًا، يترك الشعرة هناك عند المجهر ويتجه إلى صندوق غريب.. يمد يده ويخرج منه أنبوبًا طويلًا ويضعه قرب رأسه،

يضغط زرّاً عليه، ويصرخ فجأة!

أهرع إليه فى قلق:

- ماذا؟!

يبتسم بآلم:

- لا عليك.. هذا أنبوب مغناطيسى، يفرز جزيئات إلكترونية ذكية دقيقة الحجم جدّاً، تعالج أى مسألة بسيطة أو عويصة، ولها علاقة بالأمور الإلكترونية والآلية..

أبتسم بدورى، ولكن بإعجاب.. جميل أن تكون مخترعاً، والجميل أكثر أن ترى من يفوقك بإبداعه أحياناً! هذا شيء يحفز القدرات جدّاً، بصدق..

تمر خمس دقائق، يبتسم، ينتهى، يضع الأنبوب جانباً:

- انتهيت..

نعود إلى حيث المجهر والشعرة الرمادية، لكنه وقبل أن يضع رأسه هناك ليفحصها، قال موجّهاً كلامه إلى (منذر)، الذى انشغل بملاعبة البطريق الذى يملكه (ديمتري):

- (منذر).. تعال قليلاً..

بطريق عند (ديمتري)! هذه معلومة يجب أن تكون محفوظة بالنسبة لكم الآن، تعلمون أن هناك عدة أقفاص فى هذه الشقة، فيها طيور وقطط وكلاب وأرانب، والبطريق حتمًا! هذا الكائن الذى لا أدري كيف يعيش هنا فى هذه الشقة، وهو الذى يحتاج جوّاً خاصّاً لا يتوفر له إلّا فى القطب الشمالى، والذى لا بدّ أن يلاعبه ويداعبه (منذر) فى كلّ مرّة نكون فيها هنا!

من الغريب أن الحيوانات التى عند (ديمتري) لا تصدر أى صوت، لا تغرد ولا تموء ولا تنبح.. لم أنتبه لهذا الأمر إلا الآن، سأسأله عن هذا لاحقاً!

يقترّب (منذر)، ويقول:

- نعم يا (ديمتري)..

رمقه (ديمتري) بنظرة عتاب، ذكّرته بوالد يعاتب ابنه بواسطة العينين! تعرفون هذا الطراز من النظرات المدمرة! وقال له مشيراً إلى مكتب قريب فى الزاوية:

- دعك من البطريق وحاول أن تفهمنى قليلاً.. فى الدرج الأول من ذلك المكتب ستجد حاسوبين محمولين، أحضر واحداً لك، والآخر هاته كى يعمل

(سامر) عليه..

يتوجه (منذر) إلى المكتب ويتناول الحاسوبين منه، يعود بهما ويعطينى واحدًا، ويحتفظ بالثاني، ننظر إلى (ديمتري) بتساؤل، فيقول:

- سأفحص الشعرة الآن، وأرى مع (فايو) إن كان الأمر يستحق إجراء كل الفحوص عليها لمعرفة إن كان بوسعنا اكتشاف بعض الغاز الشخص أو المرأة التي لها علاقة بهذا التشويه في الجثث أو لا..

يلتفت لى:

... أنت يا (سامر) حاول أن تبحث في الإنترنت عن أى حوادث كونيّة غريبة أو مهمة وعنيفة حدثت خلال الأيام الأربعة الماضية.. كل مواقع البحث التي عندك هنا مطوّرة جدًّا، لا شك أنك تعرف هذا..

يلتفت إلى (منذر) ويقول بعد أن تئأب:

- وأنت يا (منذر)؛ حاول أن تبحث في المواقع الغرائبية، وشبكات ما وراء الطبيعة والخوارقيات عن أى شىء له علاقة بما يجري.. ابحث عن أى طقوس لها علاقة بالسكاكين السوداء، واقتلاع العيون والألسنة، وتفرغ جثث الموتى من الأحشاء..

أحضرت مقعدًا لى، وجذب (منذر) مقعدًا، وجلس كل منا يضغط أزرار لوحة المفاتيح فى حاسوبه.. بقى (ديمتري) واقفًا وكأنه لا يشعر بالتعب..

مرّت أكثر من نصف ساعة علينا وكلّ منّا مشغول فى بحثه، بالنسبة لى فلم أجد شيئًا يستحق الذكر.. هناك عواصف قوية، هناك زلزال بسيط لم يتجاوز الدرجات الأربع على مقياس ريختر، فى (تركيا)، أمطار شديدة فى الأمازون.. حوادث تفجير كالمعتاد فى بعض الدول العربية، ثورات بسيطة أو بقايا ثورات من الشعوب ضدّ الحكّام، لا أكثر من هذا!

أقول هذا لهما، يسارع (منذر) بقوله أنه لم يجد شيئًا!

الغريب أنه لم يجد شيئًا على الإطلاق، بحث فى كل المواقع، وباللغة العربية والإنجليزية دون جدوى..

أقول:

- وأنت يا (ديمتري)، هل هناك جديد؟!

يلتفت إلينا بوجه خال من الانفعالات.. يقول:

- ليس الكثير..

يجذب مقعدًا ويجلس بجانبنا، ويستطرد:
... الشعرة تعود لامرأة، لا يقلّ عمرها عن ستين عامًا على الأقلّ.. فقط!
وصمت..

توقعت أن يقول المزيد، لكنه لم يقل شيئًا!
قلت:

- هل هذا كلّ شيء؟!

يقول فى تعب:

- نعم، هذا كل شيء.. أجريت مع (فابيو) كلّ أنواع الفحوص، لم نجد شيئًا غير عادي.. هى مجرد شعرة فقط، لا تحمل أى دلائل وراثية غريبة أو غير مألوفة..
يتنهد، ويقول:

- لا أعرف ما العمل الآن.. لا أعرف..

أنغمس فى تفكير عميق بعد عبارته، أقلب الموضوع من كل جوانبه، فجأة أتذكر عدة أمور، وتخطر فى بالى عدة أسئلة، أبادر بتوجيه أولها إلى (منذر):
- الجريمة الأخيرة، هل هناك أى شهود عليها؟!
يقول:

- هُناك فتاة صغيرة مذعورة، لكنّ أهلها رفضوا بشدّة أن يتكلّم معها أى أحد..
أتمتم مستفسرًا:

- لم تحدث الجرائم الأربعة فى مقبرة واحدة، أليس كذلك؟!

يقول، بعد أن تبادل نظرة مع (ديمتري):

- كلا، كلّ جثة من مقبرة مختلفة..

أنهض، وأدور حولهما ببطء وأنا أقول فى هدوء، محاولاً تحليل الموضوع:

- هُناك أربع جثث مشوهة حتى الآن، كلّ جثة تمّ اقتلاع عينيها ولسانها، وتفرغ بطنها من الأحشاء، وغرز سكين سوداء فى قلبها.. طبعًا لا بصمات على مقبض السكاكين، أليس كذلك يا (ديمتري)؟!

يجيب (ديمتري):

- كلا طبعًا..

أكمل، ورأسى يهدر بالأفكار:

- كل جثة أتنا من مقبرة مختلفة، وليس هناك أى رابط أو علاقة تربط الجثث ببعضها البعض.. وحتى لو أردنا أن نذهب إلى كل مقبرة ونرى القبور هناك، لن نكتشف شيئاً ولن يتحقق إلا ضياع المزيد من الوقت، رجال الشرطة والمختبر الجنائي هناك قاموا بواجبهم كما ينبغي، ولا بدّ أنهم ساهموا بطمس أى آثار باقية - هذا لو أنها وجدت أصلاً...

يهزان رأسيهما إيجاباً، وأردف:

... تم إيجاد شعرة رمادية طويلة على كفن المرأة، وبعد الفحص تبين أنّها تخص عجوز عمرها لا يقلّ عن ستين عامًا، ولا نملك أى معلومات أخرى الآن.. لا عنها، ولا عن الطقوس الغريبة التى فعلتها وشوّهت فيها الجثث، ولا عن أى شىء رآته الفتاة الصغيرة المذعورة التى يرفض أهلها أن تتكلم، ومعهم حقّ بصراحة، لو كنت مكانهم لما رضيت!

ألفت إليهم، وأسأل:

- هل هناك شىء آخر؟!

يصمتان قليلاً، يجيبني (ديمتري):

- كلا، لقد أجدت تلخيص الموقف..

أقول:

- حسناً، هذه اقتراحاتى عليكم، ولا بدّ أن نفعلها وأن نتحرك، لا نريد أن نسبب التعب النفسى والجنون لذوى ميت خامس سيعرفون أنّه تشوّه مساء هذا اليوم.. لم نفكر بنصب كمائن فى المقابر الموجودة فى كل المدينة لأنها كثيرة، ولأن الشخص الذى يأتى مرتدياً السواد نحو القبور الحديثة، ويفعل هذه الأفعال؛ لن يوقفه أى كمين..

أنظر إلى (منذر)، الذى ينهض مع توجيهى الكلام إليه:

... يجب أن تذهب لأهل الفتاة، لعلهم يلينون.. أخبرهم أنك من المخابرات العلمية، وأنك بعيد عن أجواء الشرطة الرسمية والعنيفة تلك.. فقط أخبرهم بهذا، وحاول أن تكون لطيفاً وطيباً ورائعاً حتى أقصى حد.. ربما تنجدنا معلومة ما لم ننتبه إليها..

أنظر إلى (ديمتري):

- يجب أن تذهب إلى مكتبة الجامعة.. هناك كمّ لا بأس به من الكتب القديمة هناك، مسئول المكتبة صديقى، سيف... -

قاطعنى بغتة وهو ينهض:

- (رياض محمود)!

أتوقف عن الكلام إثر مقاطعته، وأعقد حاجبى فى تساؤل:

- من؟!

يقول فى سرعة، ضاربًا جبينه بباطن يده:

- إنه صديق قديم لى، مختص بالبحث عن كل الكتب القديمة وتجميعها عنده.. هذه هوايته منذ أن كان زميلى منذ عشرين عاماً وأكثر.. قارئ محترف غزير القراءة هو، ويملك قدرة حفظ عالية للغاية، سيوصلنى الآن (منذر) إلى بيته قبل أن يتوجه إلى أهل الفتاة.. لا أدري كيف نسيته!

أبتسم، جيّد جدًّا، هذا ما كنت بحاجة لسماعه فعلاً.. يجب أن نتحرك.. الساعة تكاد تتجاوز الحادية عشرة بقليل، والشمس تكاد تتوسط السماء، والحرّ بدأ يمارس نشاطه المعتاد..

يسألنى (ديمترى) بشكل عابر:

- وأنت؟!

أبتسم:

- أعطنى الشعرة الرمادية أولاً.. أحتاجها..

يذهب إلى المجهر، يتناولها ويضعها فى أنبوب بلاستيكى صغير الحجم، يناولنى إياها، وأقول:

... سأتواصل معكما على الهاتف، وأعرف أين وصلتما، مباشرة فور فراغى من التوبيخ والاختراع!

يسأل (منذر) وهو يتوجه نحو الباب:

- التوبيخ والاختراع؟!

أبتسم ابتسامة واسعة، وأقول:

- نعم، سأعود إلى البيت لأرى ما الذى تفعله الحمقاء (سو) بالضبط، إنها جارتنا الرومانية التى تفوح من بيتها رائحة كريهة منذ الأمس، وأزعجت كلّ المبنى.. كما أثنى لا أطيق العمل بغير أدواتى، تمامًا مثلك يا (ديمترى)!

يسألنى (ديمترى) بفضول علمى شديد:

- وما الذى ستخترعه بعد فراغك من التوبيخ يا (سامر)؟!

أقول:

- سأحاول صناعة جهاز يتعقب صاحبة هذه الشعرة، ويدلّنا على مكانها بكلّ دقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٧- اسمها (سو)!

خرج (منذر) ليرى الفتاة وأهلها، وخرج (ديمترى) ليرى صديقه (رياض محمود) هذا - الذى تذكره فجأة -، ورجعت أنا إلى البيت كى أوبّخ (سو)، وأرى سبب هذه الرائحة، وكى أرى إن كان بوسعى اختراع جهاز يتعقب أثر صاحبة هذه الشعرة الرمادية!

الحماس يملأ كلّ خلاياي.. هذا جميل، أشعر أن الإثارة قد بدأت الآن بالنسبة لى..

أصلي إلى البيت، أهبط من السيارة، أرى (عامر) يمشى أمام منزله فى بطء، ويتكلم فى الهاتف بصوت منخفض! هذا الوغد الأحمق! والده الحاج (توفيق) هو صاحب أكبر مصنع للمشروبات الغازية فى المملكة، وما يزال هو يتصرف بكل استهتار ولا مبالاة، ويقضى نهاره وليله مع الفتيات.. آخر واحدة منهنّ كان اسمها (سوسن) كما أذكر، لا بدّ أنه تخلص منها، ربما هى (ياسمين) أو (نانسى) أو (سلوى) الآن..

أغمزه بعينى فيبادلنى الغمز.. أتذكرّ بهذه الحركة مبدأ التّكز فى الفيسبوك، لا بدّ أن ينكرّك أحدهم كلّ حين، ومن العيب أن لا تردّ التّكز، بنكر مماثل!

أصعد الدّرج حتى الطابق الثالث الذى تسكن فيه الأرملة الرومانية (سو)، بيتى فى الطابق الرابع كما تعرفون، لكن لا بدّ من أن أفعل هذا معها، حتى لو كانت بعمر جدّتى..

أقف أمام الباب، أشهق وأزفر عدّة مرات.. رباها! ما هذه الرائحة المزعجة جدّاً؟!

الرائحة مثيرة للاشمئزاز فعلاً، مع (ديالا) كلّ الحق أن تشعر بالغضب.. إنها أشبه برائحة جيفة..

أو جثث!

هزرت رأسى وطردت هذه الخواطر من ذهنى، ثم طرقت الباب مرّتين بكلّ هدوء..

مرّت دقيقة كاملة دون أن أسمع صوتاً من خلف الباب، فطرقت مرّتين من جديد، قبل أن أسمع صوت خطوات بطيئة، ثمّ صوتها يسأل:

- من؟!

كان من الواضح بالنسبة لى أنها ترانى الآن من خلف العين السحرية، فنظرت مباشرة نحو العدسة، وقلت:

- إنه أنا يا مدام (سو).. (سامر رمضان) الذى يسكن بالطابق الرابع هُنا، سائق التاكسى..

تقول بصوت كالضحك:

- ماذا هناك؟!

أتابع النظر إلى العدسة:

- هُناك رائحة مزعجة جدًّا منذ الأمس، وهى تنطلق من شقَّتكَ أنت بالذات يا سيّدتى، أرجو أن تجدى لها حلاً سريعًا لأنها أصبحت مصدر قلق بالنسبة لنا جميعًا..

أسمع صوت مفتاح يدور فى القفل، قبل أن تفتح الباب، وتطلّ على بوجهها الممتلئ بالتجاعيد، وشعرها الرمادى الذى يظهر من خلف غطاء رأس قصير، وعباءتها السوداء المزركشة بعدة رسوم وزخارف أندلسية..

آخر مرة رأيتها كانت قبل عدة أشهر، وكان وجهها طفوليًّا ضاحكًا، لماذا تبدو مثقلة بالهموم هذه المرة؟! لماذا تبدو أقرب إلى عانس شمطاء قبيحة؟!

تبدو أكبر سنًّا بكثير!

أقول لها فيما يشبه الاعتذار، ولكن بحزم:

- آسف ولكنّ الرائحة قاتلة فعلاً.. ويجب أن تجدى حلاً سريعًا لئلاّ نشكو عليكِ..
و...

قاطعتنى بسرعة قبل أن أقول أى شىء آخر، وبمجرد أن وصلت إلى هذه النقطة:

- سأحاول أن أجد حلاً.. هل هناك المزيد؟!

أقول متراجعًا إلى الخلف خطوة:

- كلا، شكرًا لك..

تحدّق فى عيني مباشرة، تهزّ رأسها، وتغلق الباب!

لماذا هكذا تصرفت معى؟!

لا يهمنى، المهم أننى أوصلت لها ما أريد، وأخبرتها أننى سأشكو عليها إن لم تجد حلاً..

أصعد إلى الطابق الرابع وأنا أفكر: لماذا لا يوجد مصعد فى هذا المبنى؟! يجب أن نجد مكانًا جديدًا لنسكن فيه.. يجب، فما دمت أنا أتعب من هذه الطوابق الأربعة، ما شعور (ديالا) و(كريم) المسكينين إدا؟!!

أفتح باب الشقة، أدلف إلى الداخل.. (ديالا) ليست هنا بل فى المركز الرياضى، و(كريم) ما يزال فى المدرسة.. جيّد..

أخلع حذاءى فقط، أدخل إلى المطبخ وأقوم بإعداد طبق كبير من الأندومى بالبيض على عجل، وأنا أدندن بلحن معروف وقديم للمطربة (نجوى كرم)..

أتناول ما فى الطبق وأنا أمام التلفاز، إحدى محطات الأفلام التى أحب متابعتها تعرض فيلمًا عن قصة ثار بين مجموعة من رعاة البقر الغربيين.. أحب ذلك الزمن..

أنتهى من الطبق، أغسله وأضعه مكانه، أدخل إلى مكتبى، عالمى الخاص كما أحب أن أسميه..

أخرج العلبة وأضعها أمامى، وأبدأ على الفور بالبحث فى الصناديق والأدراج التى فى غرفتى عما أحтаجه من أدوات؛ أسلاك نحاسية، ألياف ضوئية، دوائر سيليكون دقيقة، دوائر مغناطيسية ملتفة، محركات صغيرة الحجم، مداخل ومخارج إلكترونية، منصات آلية لإطلاق الأشعة، عناكب بحث كهربائية، قطع بلاستيكية يمكن طيها واستخدامها لغايات متعدّدة، وغيرها الكثير مما لا مجال لذكره..

كنت بحاجة لاختراع جهاز يتعرف على البصمة الجينية والعلامة الوراثية الموجودة فى هذه الشعرة، وينطلق بعدها للبحث فى المدينة عمن يحمل ذات البصمة الوراثية..

باختصار؛ كنت بحاجة إلى كلب صيد إلكترونى، من طراز خاص ومميز، يستطيع ملاحقة البصمة الجينية الخاصة للبشر! لا شك أن أجهزة الشرطة والمخابرات ستشكرنى جدًّا لو اخترعت هذا الجهاز، وأمددتهم بفكرته أو بنسخة منه!

المشكلة فى عملنا، وفى قوانيننا، وفى القواعد التى لا بد أن نسير عليها كما هى؛ أن هذه الاختراعات تبقى محصورة فقط للدولة، وتبقى ملكيتها للدولة.. أى أن هذا الجهاز - إذا قمت بإنجازه كما يجب - سيتحول إلى ملكية خاصة للدولة، لا يحقّ لى استثماره أو التصرف به كما أريد!

ربما هذا ليس عدلاً كما يتوقع الكثيرون أن يكون رأىى طبعًا، لكننى راضٍ بهمّ كل شخص أن تكون دولته متقدمة على ما سواها، بالحق..

أبدأ فى التركيب، والتجريب، ومزج المواد، والصهر، ودمج الأسلاك بالألياف، ويمر على الوقت، نصف ساعة، فساعة، فساعة ونصف، قبل أن تدخل (ديالا) من الباب، وتقبل نحوى وهى مستغربة من وجودى فى هذا الوقت..

- ماذا تفعل؟!

تقترب منى، أخبرها دون أن ألتفت إليها:

- أريد كأس عصير!

تفهمنى على الفور، ما دمت لم أنظر إليها، وما دمت أجبت السؤال بطلب فهذا يعنى أننى فى قمة تركيزى الآن.. أنا هكذا، مما جعلها تغلق الباب على، وتذهب إلى الداخل كى تغير ثيابها وتقوم بعمل هذا الكأس لى..

خمس دقائق فقط هى المدة التى أخذتها، وكان كأس العصير أمامى، منعشًا ولطيفًا، وفيه بعض قطع الثلج..

(ديالا).. أنت ملكتى!

أقول لها دون تركيز:

- شكرًا لك..

- عفوا.. لا أريد أن أعطلك..

تقولها وتغلق الباب، هى تعرف أننى فى وقت مهم جدًا بالنسبة لى، ويحتاج منى تركيزًا عاليًا للغاية..

تمر نصف ساعة سريعة أخرى.. أفكر: لم يتصل بى (ديمتري) ولا (منذر).. ربما لأنهما فهما أننى سأتصل بهما أولاً!

يمر المزيد من الوقت، وأنتهى، لا بدّ من التجربة.. لكنّ المشكلة أنّ هذا الجهاز يحتاج مصدر طاقة هائل، لو أننى أجره الآن هنا؛ سأغامر بقطع الكهرباء عن الحى كاملاً.. يجب أن أجره فى شقة (ديمتري)..

أجلس متعرقًا، أحرق فى الجهاز الذى كان بدون ملامح واضحة، فقط مجموعة كبيرة من الأسلاك والقطع الكهربائية والوصلات، مختلفة فى الأحجام والألوان، يدخل بعضها فى بعضها ويخرج بعضها الآخر!

أرتشف رشفة من العصير، إنه مانجو طيبعى، قبل أن أضع الكأس وأرفع هاتفى إلى أذنى، وأتصل على (ديمتري):

- (ديمتري)، أين أنت؟!

يأتيني صوته:

- خرجت للتو من عند الرجل، إنه كنز حقيقى يا (سامر)، لقد أمدّنى بمعلومات كثيرة لم نكن نعرفها كلنا من قبل..

أقول فى لهفة وفضول:

- مثل ماذا؟! هات وأخبرنى يا رجل، الشوق يكاد يقتلنى.. هل عرفت شيئاً؟!!

يقول، وأتخيله يهز رأسه نفياً فى مكانه حيث هو:

- كلا، لن أعيد الكلام مرّتين، سأقوله لك ولذلك الوغد.. أين هو (منذر)؟! هل حصل معه شىء بشأن الفتاة؟!!

قلت بعد أن احتسيت المزيد من المانجو:

- لا أعرف، لم أتصل معه بعد، قلت إننى سأتصل بك أولاً..

يسأل:

- هل أنهيت الاختراع؟! هل وفقت؟!!

أجيبه فى غرور لا أقصد منه غير الدعابة:

- نعم، وأعتقد أنه سيكون أكثر من ممتاز، المشكلة أننى لم أجربه لأننى بحاجة إلى مصدر طاقة هائل، وأظن أننى سأجد هذا المصدر عندك..

يصمت قليلاً، قبل أن يقول بلهجة المتعجل:

- حسناً، سنلتقى فى الشقة بعد قليل، عندى.. أنا فى الطريق إلى هناك..

أسأله:

- من سيحضرك إلى الشقة؟!!

يجيب فى حدة:

- أنا طبعاً، ماذا تظننى؟! خلال عشر دقائق سأكون هناك، بسيارة تاكسى!

قالها وأنهى المكالمة، نظرت لوهلة إلى الهاتف بدهشة وضحكت، شربت المزيد من المانجو واتصلت على (منذر):

- مرحباً يا (منذر).. أين أنت؟!!

جاءنى صوته:

- أنا فى الشقة منذ نصف ساعة تقريباً!

أسأله متأملاً أن يكون مفيداً فعلاً:

- هل من خير فى زيارتك؟!

يقول فى إحباط:

- حاولت بشتى الطرق أن أقنع الوالدين، وجربت كل الوسائل بدءاً باللين وانتهاءً بالتحذير والوعيد.. لم ينفع أى شىء! يبدو أنهما يخافان عليها جدّاً..

أقول له محفراً إياه ألا يقلق، وألا يلقي بالاً:

- دعك منهم ومنها، لا أعتقد أننا سنستفيد أى شىء منها حتى لو تكلمت، كما يبدو أننا على وشك تحقيق نصرها هنا، لقد عرف (ديمتري) الكثير، وأنا أنهيت الاختراع بالنسبة لى.. بعد قليل سنلتقى كلنا فى الشقة، عندك..

يغمغم بهدوء:

- جيد جدّاً، أنا بالانتظار..

أقول منهياً المكالمة:

- أراك بعد قليل..

أغلق الهاتف وأضعه فى جيبي، أحتسى آخر رشفة من المانجو.. لقد أعدته (ديالا) بشكل يجعله أفضل من كل إنتاجات متاجر العصير والكوكتيل!

أفتح باب الغرفة وأخرج، (ديالا) أمام التلفاز.. أرتدى حذاءى وأخبرها أنه لا بد لى من الخروج، تتذمر قليلاً لكننى أخبرها بحزم أن هذا عملى الجديد وعليها أن تتقبله.. أجلس معها بعض الوقت، أخبرها عن السيارة الجديدة، وأراقب ملامحها وهى تتحول من الدهشة إلى الفرح الشديد عندما أخبرتها عن استلامى منصب المشرف على القسم التقنى، فى قسم المخابرات العلمية الجديد!

أحمل الجهاز فى يدي وأخرج، أهبط إلى سيارتى وأتوجه مباشرة نحو شقة (ديمتري)..
أصعد، يفتح لى (منذر) الباب، نجلس ونتحدث قليلاً، يسألنى وهو ينظر إلى الجهاز:

- هذا هو؟!

أقول وأنا أنظر إليه:

- نعم، لكننا سننتظر (ديمتري) قبل أن نفعل أى شىء..

دقائق معدودة، وأقبل علينا (ديمتري)..
دخل، نظر فى عيوننا، وقبل أن نقول أى كلمة له، اقترب وقال بانتصار:
- صديقى (رياض محمود) هذا أكثر من كنز هائل، الكتب القديمة التى عنده
ثروة حقيقية.. لقد أخبرنى بحقيقة كلِّ شىء يتعلق بالمرأة التى فعلت هذا!
أقول وقد بلغ الفضول مَنّى ومن (منذر) مبلغه:
- ما هو هذا الشىء؟! من هى بالضبط؟!
يأخذ نفسًا عميقًا، ينظر فى عيوننا مباشرة، ومن ثمَّ يهمس بصوت مخيف
عميق:
- إنها من ساحرات المالاكان!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٨- ساحرات المالاكان..

أنظر و(منذر) إلى (ديمتري) فى عدم فهم..

ساحرات المالاكان؟!

ما هذا بالضبط يا (ديمتري)؟!

أنهض، وأجذب كرسيًا وأضعه أمام (ديمتري)، وأقول له فى حزم:

- اجلس، يجب أن نخبرنا بكلّ شىء..

يجلس (ديمتري)، يفرك يديه، يبدو الظفر على وجهه.. لماذا أشعر أنك ممتلئ بالمعلومات يا هذا، وهذا بالضبط ما يجعلك سعيدًا إلى هذا الحد؟!

ذكرنى وجهه وانفعاله بالطفل المغرور، الذى يكون فى مرحلة ما من عدم التصديق لوضعه؛ عندما تكون عنده لعبة مميزة جدًا، ليست عند أحد سواه!

أعيد وأكرر: نحن مجموعة غريبة جدًا.. غريبة جدًا..

يقول وعيناه تنتقلان بينى وبين (منذر):

- هذه المرأة باختصار، هى واحدة من ساحرات المالاكان.. لا أعتقد أنكم سمعتم بهذا الاسم قبل الآن، لأننى - شخصيًا - لم أسمع به إلا اليوم، بل لم أقرأه وأحفظ تفاصيله - أنا و(فابيو) - إلا قبل قليل، وأنا عند هذا الرجل الرهيب، الثروة، هو وكتبه ومخطوطاته..

نتابع النظر إليه، ويتابع الحديث لنا:

- بعد بحث دقيق فى مجموعة من الكتب التى عنده وجدنا هذه المعلومات عنهن.. ساحرات المالاكان لسن أكثر من أسطورة قديمة بالية، يبدو أنها تتحقق هذه الأيام معنا، بصورة مختلفة قليلاً عما هو مذكور فى الكتاب..

وسكت قليلاً، ليجدنا منتبهين له بكل حواسنا، وأردف:

... إنها أسطورة هندية قديمة، حيث يحدث موت فى قرية ما، وهنا يبدأ الخوف المرتبط بالخرافات بالتزايد، هذا الخوف ليس بسبب حكايات الجدات أو بسبب الأرواح العابثة التى يتخيلونها ستعود مثلاً، بل هو خوف مرتبط بتلك الكائنات شبه الطبيعية.. الساحرات المتخفيات، اللواتى يطلق عليهن اسم المالاكان.. هؤلاء نسوة أحياء يمكن معرفتهن والحديث إليهن فى الحياة العادية، لكن يفترض أنهن يملكن قوة ما، تجعلهن غير منظورات لو أردن، كما أنهنّ يستطعن الطيران لمسافات بعيدة فى الهواء، ويقدرن على إرسال

رسول من أجسامهنّ.. فى صورتهمّ اللاجسدية تكون هناك قوة غامضة جدّا،
وخبیثة للغاية..

يلتقط نفسًا عمیقًا، ويعود لإكمال الحديث:

... تقول قبائل الساحل الشرقى فى (الهند) إنّ هذه النسوة خطيرات فى
البحر أكثر من الیابسة، وكلما كانت هناك عاصفة تتهدّد السفن فإن المالاكان
يكنّ هناك فى انتظار فريسة، لهذا لا أحد يحلم برحلة إلى مسافة بعيدة إلى
الجنوب مثلاً حتى مجموعة جزر (دونترکاستو)، أو شرقاً إلى (مارشال بنيت)،
أو أبعد من ذلك إلى جزيرة (رود لارك)، دون معرفة التعويذة السحرية القوية
التي تقضى على هذا الطراز من الساحرات.. حتّى عند بناء زورق بحرى كبير
يسمّى (ماساوا) فإنّ التعاويذ يجب أن تتلى عليه لتقليل الخطر من هؤلاء
النسوة المخيفات..

عند هذه النقطة نهض، واتجه نحو المطبخ القريب، صبّ لنفسه كأسًا من
الماء ونحن ننظر إليه.. هل هذا هو الوقت الأنسب لشرب الماء يا (ديمتري)؟!

لم يهتمّ، بل عاد وجلس ببساطة، مستطرّاً:

... لكنّهن خطيرات فى الیابسة أكثر، حيث يهاجمن الموتى الجدد، وينترعن
الألسنة والعيون، ويفرغن البطن من الأحشاء، ويقمن بطعن القلب بسكين
سوداء، هذا لا بدّ منه كى تكتمل طقوس الإحياء الخاصة بهم..

إحياء؟!

إحياء ماذا؟!

أو إحياء من بالضبط؛ يا (ديمتري)؟!

أفكرّ بهذا، بينما هو نظر فى عيني وعيني (منذر)، وتمتم:

... ساحرات المالاكان يمتلكن غرائز وحشيّة، إنهنّ لا يهاجمن الأحياء فهذا
ليس بمقدورهنّ قبل الجثة السابعة على الأقلّ، كلّ هذه مجرد طقوس،
السكاكين والتمزيق والعيون والألسنة، كلّها طقوس للوصول إلى الجثة
السابعة، وبعدها يبدآن بالهجوم على بعض الأحياء المختارين.. هذه هى
المرحلة الثانية من الطقوس بالطبع، لأنّ مرحلة الإحياء تأتى بعد هذا مباشرة!

يصمت، ويهمّ بقول شيء جديد، لولا هتافى بعصبيّة:

- عن أى إحياء تتحدّث؟!

يجيبنى:

- الطقوس تتم على مرحلتين يا (سامر).. المرحلة الأولى تتلخص بتشويه سبع جثث لموتى جدد كما هي بعض الجثث التي عندنا هنا، والمرحلة الثانية تتلخص فى قتل سبع أشخاص.. بعدها يكون الأمر جاهزًا لاستقبال الدراجو!

أستغرب الاسم، وأعيده باستنكار:

- الدراجو؟!

يهزّ (ديمتري) رأسه:

- نعم، الدراجو.. الروح الكبيرة.. هذه واحدة من سيدات المالاكان الكبار، وعمرها قد تجاوز ألف سنة، ولا شك أنّ الوقت قد حان لاستدعائها.. بالمناسبة، ترتبط المالاكان ارتباطًا وثيقًا برائحة الجيفة، الهنود يؤكدون هذا وخصوصًا فى اليابسة، عندما يكونون فى خطر، يفرعون بوضوح من رائحة الجيفة التي تعتبر علامة على أنّ الساحرات هناك.. كان لا بدّ أن أقول هذه المعلومة قبل أن أنسى!

يقول (منذر):

- ما العلامة الكونية التي جعلت هذه الساحرة - التي لا تعرف أنّها ساحرة - تصحو من غيبوبتها البشرية، وتعود إلى حالتها الطبيعيّة وشكلها الحقيقي؟! كان هذا سؤالاً ذكيًّا من (منذر)، المشكلة أنه لم يكن هناك جواب جاهز عند (ديمتري)، الذي قال:

- لا أدري.. ربما كان حافرًا غير كوني هذه المرّة!

أفكرّ فى الموضوع قليلًا.. هناك كمّ هائل من المعلومات التي استقاها (ديمتري) من (رياض) وألقاها على مسامعنا، لكنّ المشكلة أننى فى حاجة إلى المزيد..

أقول:

- هل هذا كلّ ما عرفته يا (ديمتري)؟!

يلتفت إلى، يحكّ رأسه ويفكرّ قليلًا، يقول بكلّ حماس:

- لا، هناك المزيد طبعًا.. هذه الدراجو تمكثّ حاليًّا فى مكان يدعى (جراشى)، وهو اسم لجزيرة تحتضن الكثير من الموتى والأرواح الكبيرة فى المحيط الهندى.. الدراجو وبسبب تعويذة معيّنة تمّ ربطها بحجر بركانى أسود اللون اسمه (موداوزى)، وستظلّ فيه مربوطة إلى الأبد، لا تفعل شيئًا سوى المكوث مكانها، وإصدار النواح المستمر الذى يفسره بعض البحارة ليلًا على أنه صفير الريح أو ما شابه، من التفسيرات الطبيعية.. فى الحقيقة هو نواح

لأنّ مصير هذه الرّوح هو الحرق فى ماتم جنازى كبير سيقام لها فى العالم الآخر، اسمه (إيوالا)، بعد ألف عام، وهذا بعد مرورها من خلال بئر أحمر اللون كريحه الرائحة يقال له (جلالا).. سيّد هذه الجزيرة كما ورد فى الكتب اسمه (توليتا)، وهو كيان يحكم السيطرة على كلّ الأرواح الكبيرة الخائنة التى فيه!

رباه!

يا ليتنى لم أسأل يا (ديمتري)! ماذا أفعل بكلّ هذه المعلومات الجديدة الآن؟!

أحاول تصفية ذهنى، وأنا أقول له:

- أستنتج من هذا يا (ديمتري)، وبناءً على الأسطورة؛ أنه ما لم تحصل طقوس الإحياء هذه، وما لم تقم ساحرة المالاكان الموجودة فى مدينتنا حاليًا بممارسة التشويه، والانتقال إلى قتل الأشخاص السبعة من أجل الانتقال إلى المرحلة الأخيرة؛ ستحصل كلّ هذه الأمور الغريبة التى ذكرتها آنفًا؟! يهزّ رأسه إيجابًا:

- بالضبط يا عزيزى.. بالضبط..

أراجع فى مقعدى، هل يمكن أن يكون هذا حقيقياً؟!

أكاد لا أصدق حرقًا من كلّ ما سمعت، وخصوصًا الأجزاء المتعلقة بالجزيرة.. تبدو لى هذه الأمور أشبه بأساطير أكل عليها الدّهر وشرب.. ما يهمنى الآن هو الأجزاء الأولى، فمعنى هذا أنّ هناك المزيد من التشويه سيحدث، وأنّ هناك قتلاً سيبدأ، وهذا مما لا يمكن لنا أن نسمح فيه ألبتة!

يسأل (منذر):

- وهل عرفت التعويذة يا (ديمتري)؟!

يسارع بإخراج ورقة بيضاء تمّ انتزاعها من دفتر، وتمت كتابة كلمات التعويذة فوقها:

- نعم، ها هى..

يأخذها (منذر)، ويبدأ القراءة بصوت مرتفع:

- مالاكان ليغوز نايز هوسا هوسا.. هيكوز سايز بورين هوسا هوسا.. كيلافاسى لوكولابوتا مالاسى لوكومبا هوسا.. مامونجا لوكواسيسجا.. مامونجا لوكواسيسجا!

أنظر إلى (منذر) بعد أن انتهى، وأقول بصوت مسموع:

- هراء!

يلتفت إلى (ديمتري) بحدة:

- هراء أو حقيقة، هذا ليس مهمًّا؛ يكفي أن هذا هو الشيء الوحيد الذى نملكه بشأن هذه المسألة!

أحاول تغيير مجرى الحديث:

- ماذا سيحدث بعد أن يتم استدعاء الدراجو؟!

يصمت (ديمتري) وكأنه كان يتوقع السؤال، يلتفت (منذر) بكل اهتمام مصغيًّا، ويتناول الورقة ويذهب بها إلى آلة تصوير مستندات قريبة.. ويجيبني عاشق البوم:

- ستخرج من الجزيرة، وستحلّ فى جسد الساحرة التى ساعدتها على المجيء، وستبدأ مهمتها فى فتح باب يطلّ على عالم المالاكان، و...

أقاطعه فى دهشة واستنكار شديدين، أكثر من أى مرة سابقة لى معه على الإطلاق:

- عالم المالاكان؟!

يقول:

- نعم، عالم المالاكان يا (سامر)، إنه فى بقعة ما من العالم الآخر، وفيه كلّ ساحرات المالاكان الخالدات فى حالة من الجمود والثبات.. هكذا تقول الأسطورة، كما تقول إن الدراجو إن فتحت البوابة سيفد إلى هذه الأرض الكثير جدًّا من أشباهها، وستبدأ هؤلاء الساحرات بامتصاص أرواح كلّ البشر، للتحول إلى كيانات مشتعلة بالحياة والشباب والحرية، وكى يعيشن فى عالم خاص بهنّ وحدهنّ، يفعلن به ما يرغبن دون أن يحاسبهنّ أحد!

أقول فى لا مبالاة:

- لا أصدّق هذا..

وأنهض من مقعدى، وأتوجه نحو جهاز التعقب الذى اخترعته، والموضوع على الطاولة القريبة، متجاهلاً أى جواب أو تعليق من (ديمتري)، قائلاً:

... أصدّق هذا يا (ديمتري)، تعال وانظر..

يقترّب (ديمتري) دون أن يعلق فعلاً، أبدأ بشرح الجهاز له، ويبدأ هو بسؤالى عدة أسئلة علمية فضولية كالعادة.. يثيره دومًا أن أخترع شيئًا جديدًا، كما يحدث بالضبط حين تكون الأدوار معكوسة بيننا.. (منذر) فى هذه الأثناء كان

قد اكتفى من كل هذا الحوار، واتجه إلى القفص الذى فيه البطريق، كالمعتاد، بعد أن ناولنى نسخة من التعويذة، دسستها فى جيبى بلا مبالاة!

يسألنى (ديمتري):

- وما الذى تحتاجه الآن؟!

أجيبه فى حماس:

- أقوى مصدر طاقة لديك..

يتجه إلى خزانة جانبية، يعبث بها قليلاً، يعود ومعه قطعة غير واضحة المعالم والملاح، بحجم كف يده، وقد خرج منها سلك واحد يتيم.. يوصله دون كلمة واحدة بجهاز التعقب!

- وما هذا أيضاً؟!

تبرق عيناه:

- إنه محرك نووى مصغراً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنظر إليه فى ذهول..

لا شك أنه يمزح!

هل هو مجنون ليحتفظ بشيء كهذا فى مختبره، لو كان صادقاً فعلاً كما يقول؟!

يقول لى:

... لا تقلق، إنه مجرب وآمن تمامًا، ليس هناك أى خطر منه، كما أننى رتبت إجراءات السلامة منه مع (فابيو).. لن يحدث شيء خطر أبدًا..

يتكلم عن إجراءات سلامة، من محرك نووى مصغراً؛ وكأنه يتحدث عن الحذر من التدخين مثلاً!

لكنتى أثق به، المشكلة أننى أثق به.. هو أولاً وأخيراً عالم كبير فى مجاله وتخصصه، من أنا لأعارضه فى شيء كهذا؟!

يمسك الجهاز فى يده، ينظر إلى شاشته التى أخذتها من حاسوب قديم صغير الحجم، يمد يده إلى زر التشغيل، ويضغطه..

تضاء الشاشة فجأة، يبدأ مؤشر ما بالتفافز فى جنون على الشاشة!

- هذا جهازك أنت، هل هذا طبيعى؟!

يقول (ديمتري)، ويقترب (منذر) كي يرى الشاشة معنا، وأقول أنا محاولاً طمأنتهما:

- نعم، الفكرة فقط أن الجهاز كان يتوقع مصدر طاقة قوى جداً ولكن ليس إلى حد الطاقة النووية! المحول الذى فى داخله يقوم بتحويل الطاقة إلى شىء تستوعبه قدرات الجهاز..

بعد ثوانٍ، هدأ المؤشر، وبدأت ترسم خريطة على الشاشة، خريطة لا أعتقد أن (ديمتري) و(منذر) سيفهمان شيئاً فيها، فأنا صممتها بسرعة، وأنا من سيفهمها..

ثوانٍ أخرى مرت، قبل أن تبدأ معالم الخريطة بالظهور بشكل واضح جداً بالنسبة لى، ويهدأ الجهاز..

يا إلهى! هل هذا معقول؟!

ينظران لى فى تساؤل واستفسار، لكن الدهشة تغمرنى، بل هو الذهول بالأحرى، ممتزجاً بالصدمة..

ألفت إليهما بوجه ممتع:

- الساحرة..

- ما بها؟!

- إنها فى منطقتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٩- منطقتي..

دقيقة كاملة من الصمت مرت، قطعها (ديمتري) بقوله، محاولاً أن يستوعب:

- منطقتك؟! ماذا تقصد؟!

أقول بذات الوجه الممتع:

- أقصد أن الجهاز قادر على تحديد الشخص الذي نبحت عنه من خلال أثره؛
فى مساحة نصف قطرها كيلومتر كامل.. ومن خلال الخريطة فأنا أجد أن
البنية التى أقيم فيها تتوسط هذه المساحة بالضبط!

يعقد (منذر) حاجبيه، ويبدو التوتر واضحاً على ملامح ووجه (ديمتري)، الذى
قال بعد صمت:

- هل أنت متأكد؟!

أقول دون أن أنظر إليه:

- جَدًّا، نسبة الخطأ فى هذا الجهاز قليلة للغاية، أعلم أننى اخترعته للتو، لكننى
متأكد مما فعلت..

يقول (منذر) وهو يقترب منى، ويربت على كتفى:

- ربما ليس الأمر كما تظن يا (سامر).. ربما الجهاز التقط إشارة الساحرة وقد
مرت صدفة من هذه المساحة، كما لا تنسى أن الكيلومتر مساحة ليست
ضئيلة، إن فيها عددًا كبيرًا من البنايات، ربما فيها سوق أو مجمع تجارى
كذلك..

ساحرة فى سوق أو مجمع تجارى؟!

هل تهذى يا (منذر)؟!

لا أعلق على رأيه وكلامه.. ويقول (ديمتري):

- بالفعل يا (سامر)، هذا لا يعنى شيئاً، إن...

أهتف مقاطعاً:

- بل يعنى يا (ديمتري)، بل يعنى..

قلتها ورميت جسدى على مقعد قريب، مستطردًا:

... الجهاز يستطيع التقاط صاحب الأثر، إلى حدّ ساعة ماضية فقط.. أى أن صاحبة هذا الأثر، الساحرة، المالاكان كما كنت تقول قبل قليل؛ مرّت فى هذا الكيلومتر خلال ساعة أو أقلّ؛ أو أنها لا تزال فيه حتّى الآن..

يدوم الصمت بعد عبارتى لهنية، ويسأل (منذر):

- وما الذى تقترح أن نفعله؟!

أنهض من مكانى، وأجيبه سؤاله بلهجة آمرة، بكلّ ثقة:

- اتصل مع كلّ من تعرف من الشرطة والجيش والمخابرات، نريد حصارًا كاملاً حول هذا الكيلومتر، أتعرف؟! اجعلهما كيلومترين، هذا أفضل.. نريد تفتيشًا دقيقًا لكل بيت، لكل بقالة وزاوية وركن فى الشارع.. نريد فريقًا كبيرًا هائل العدد من المختصين الأكفاء، الأمر لا يتعلق بجثث مشوهة فحسب؛ الأمر يتعلق بسبعة أشخاص سيموتون خلال الأسبوع القادم، وبالعالم كامل ربما يتعرض لخطر كبير غير مسبوق ولا متوقّع.. عندما لا يتبقى أمامنا من الحقائق سوى أسطورة، فمن الأجدر بنا أن نأخذ بها كمسلّمة دون تردد!

ألّفت بعد هذه التعليمات نحو (ديمتري)، وأقول:

... وأنت يا (ديمتري)، اتّصل مع القسم الجديد للمخابرات العلمية، دعهم يعملون كما يجب فى أوّل يوم لهم.. دعهم يحضرون جميعًا، حتّى العميد، نريد حصارًا مدهشًا يتكلم عنه الناس ووسائل الإعلام لوقت طويل، لا نريد أن نترك لهذه الساحرة أى ثغرة!

كنت أتكلّم بكلّ حماس.. الأمر حقًّا لا يتعلق بى أو بأن الأمر صار محصورًا بالمنطقة التى فيها عائلتى فحسب، إنه شىء سيعانى منه كوكبنا كله لو كانت الأسطورة صحيحة، ولو لم نجد ساحرة المالاكان اللعينة هذه فى الوقت المناسب!

يبتعد (منذر) قليلًا ليجرى اتصالاته مع الجهات الأمنية بلا استثناء، ويرفع (ديمتري) هاتفه بالفعل، لولا أنه رأى أتوجه نحو باب الشقة، مغادرًا، مما جعله يسأل:

- وأنت يا (سامر).. إلى أين؟!

أقول دون أن ألّفت:

- أنا سأذهب كى أطمئن أسرّتى، لا أريدكم أن يموتوا من الرعب بعد قليل!

أخرج من الشقة وأتوجه مباشرة نحو سيارتي الجديدة، وأنطلق بها نحو البيت..

خلال ساعة أو ساعة ونصف كحدّ أقصى سيمتلئ المكان برجال الشرطة والجيش، وسيتمّ فرض حظر التجوال.. لن يدخل أحد إلى المنطقة ولن يغادرها أى شخص كذلك..

أتنبه وأنا أقود أن السيارة أكثر من ممتازة فعلاً، من الجيد أن رجال المخابرات قاموا بنقل كلّ أدواتي الخاصة التي كانت بسيارتي القديمة إليها.. أشعر أن الأمر أشبه بعملية نقل روح من جسد إلى آخر، أو من سيارة إلى أخرى فى هذه الحالة!

هذه السيارة الجديدة فيها روح سيارتي القديمة، باختصار..

أصل إلى البيت، الساعة تجاوزت الخامسة بعد العصر الآن.. أنزل من السيارة وأغلقها، أصعد على الدرج بسرعة.. و...

هذه الرائحة!

إنها لعينة مزعجة، وقاتلة فعلاً..

رباه! لم تفعلنى شيئاً بعد بشأنها يا مدام (سو)؟!

تَبَّاً لَكَ! تَبَّاً لَكَ!

أهمّ بالصعود إلى البيت لتهوين الأمر على (ديالا) و(كريم) وتجاهل أمر الرائحة قليلاً؛ لولا أن برقت فى ذهني عدّة أمور بنفس الوقت..

أن لا ترى أبعد من قدميك؛ هذا هو العمى الحقيقي!

أرفع هاتفى، وأهبط عدة درجات نحو الأسفل فى بطاء، لا يجيبني (منذر).. أتصل من جديد فيرد وهو يسعل، أباغته بسؤال غاضب:

- أين كنت؟!

يجيب بحرج:

- فى الحمام.. نداء الطبيعة كما تعلم!

أسأله فى حزم، متحاشياً أن يكون كلامى بصوت مرتفع:

- هل أجريت اتصالاتك؟!

يسارع ويقول:

- بالتأكيد.. اتصلت بالجميع! مع الشرطة والجيش والمخابرات والقوات الخاصة، هم رُتبوا الأمر مع مجموعة من الخبراء من عندهم.. سيفتشون كلَّ شىء بالتفصيل، لن تستطيع ذبابة الفرار أو الدخول!

أقول فى خجل - ليس هذا وقته ألبته :-

- حسناً، عليك أن تتصل بهم من جديد، وتخبرهم أن المهمة ألغيت.. أخبر (ديمتري) بهذا أيضاً!

ينفجر صوته بأذنى فى استنكار:

- ماذا تقول؟!

أهمس:

- اخفض صوتك.. أخبرهم أن المهمة ألغيت وكفى!

أسمع صوت (ديمتري) يقترب منه، ويسأله:

- ماذا هناك؟!

أسمع صوت (منذر) يجيبه بحنق:

- إنه يطلب منى ومنك أن نتصل بكل الجهات التى تكلمنا معها ونخبرهم أن المهمة ألغيت!

يختطف (ديمتري) الهاتف منه، يصرخ فى أذنى هو الآخر:

- هل جننت يا (سامر)؟! ما الذى تفعله بالضبط؟!

أهمس بهدوء، محاولاً قدر استطاعتي ألا يرتفع صوتى، هابطاً المزيد من الدرجات نحو الأسفل:

- أريد منك أن تلغى المهمة يا (ديمتري).. لسنا بحاجة إلى كلِّ هذه الضجّة التى لن تفيدنا بشىء..

يسألنى:

- لماذا؟! وكيف ستجدها إذًا؟!

أجيبه:

- لقد عرفت من هى، دون أن أبحث!

يسود صمت على الجهة الأخرى من الهاتف.. لا شكَّ أنهما لم يتوقعا منى هذه العبارة الأخيرة الصادمة..

يسألنى (ديمتري):

- ومن هى؟!

أقول هامسًا، رافعًا رأسى وناظرًا إلى الباب الخشبى الذى يبعد عني عدة أمتار، هناك:

- إنها (سو).. جارتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١٠- مع (سو) من جديد..

كيف لم أربط الأمور بهذا الشكل من قبل؟!

يسألنى (ديمتري) محاولاً التأكد مما سمع:

- ماذا تقول يا (سامر)؟!

أهمس:

- أقول الذى سمعته يا (ديمتري) بالضبط.. ساحرة المالاكان المخيفة والّتى فعلت كلّ هذا هى جارتى (سو).. لم أشكّ فيها من قبل لكننى عندما شملت الرائحة الكريهة الآن تذكرت، لقد ربطت الأمور كلها فى ذهنى مرة واحدة!

يسألنى فى اهتمام:

- كيف؟!

أسأله أولاً قبل أن أجيبه:

- هل اتصل (منذر) بالجميع وأخبرهم أن المهمة ألغيت؟!

يجيبنى:

- نعم، إنه يفعل هذا الآن.. أخبرنى الآن يا (سامر)، كيف عرفت أنها هى؟!

أقول له، محاولاً أن أكون دقيقاً كما ينبغى:

- الرائحة الكريهة فى البناية لا يشمها أحد كما يجب إلّا إن مرّ من أمام باب هذه الجارة بالذات.. الرائحة أشبه برائحة جثث، أو جيفة.. جيفة بالذات.. هذه هى الرائحة بالفعل، كما أخبرتنا أنت، نقلاً عن صديقك (رياض).. كما أننى انتبهت إلى عدة أمور أخرى؛ فلقد فتحت لى الباب صباح اليوم، وكانت تتكلم معى بطريقة غريبة، ولم أنس ملامحها بعد..

يسألنى:

- هل كانت مختلفة عن المعتاد؟!

أجيبه وأنا أتذكر كيف كانت مختلفة جدّاً:

- حتى أقصى حد يا (ديمتري).. حتى أقصى حدّ.. كانت أشبه بعجوز شمطاء قبيحة ممن نراهنّ فى القصص المصوّرة وأفلام الرسوم المتحركة الخاصة

بالأطفال.. ملامح ساحرة شمطاء! وكان يظهر من تحت غطاء رأسها شيء من شعرها الرمادي، وكانت ترتدى عباءة سوداء..

يصمت قليلاً، قبل أن يلفت انتباهي إلى نقطة مهمة، ربما تهدم كل استنتاجي: - هل هي هندية؟! -

أصمت بدوري بعد سؤاله.. ما أعرفه عنها أنها رومانية، يعرف الكل أنها أرملة رومانية تعيش هنا منذ عامين.. أفكر وأتذكر كل موقف لنا معها، فعلياً نحن لم نرها مرة واحدة نتكلم بالرومانية، ولم نر أي ورقة تثبت هذا، ولم نر زوجها أصلاً، ولم نحادثه قبل موته..

(سو) هنا منذ عامين فحسب، وعندما التقيناها أول مرة، قالت بأسى: - العزيز (سى دنتيسيوس)، قتله بعض الرعاع الأوغاد قبل عام، هاجموا في الظلام ومزقوه من أجل المال! الأوغاد! وصارت تبكي فجأة!

كان في يدها وقتها صورة لها معه.. الآن أتذكر، هو رجل أسمر البشرة، ملامحه تشبه العرب كثيراً.. أقول:

- كلا يا (ديمتري)، في الحقيقة لا يوجد أي دليل على أنها رومانية سوى ما قالت فحسب.. لا يوجد أي شيء آخر! يسألني في اهتمام:

- حسناً، ولكن تبقى هناك نقطة واحدة يا (سامر)، وهي مهمة للغاية.. أسأل:

- وما هي؟! -

يجبني، ويوترني بجوابه:

- الحافز.. ما هو الحافز الذي جعلها تستيقظ من بشرتها إدًا يا (سامر)؟! ما دام لم يحدث أي حدث كوني؟! وما دام لم نقرأ أو نسمع عن أي شيء؟! أقول، وأنا أفكر في هذه الأمر:

- حسناً، ربما.. وربما (منذر) أخطأ ولم يعرف أحد الأحداث أي اهتمام مثلاً.. لا تنس أيضاً أنه من المحتمل أن يكون الحافز خارجياً يا (ديمتري) كما أخبرتنا! تعويذة ما، أو مشهد معين، أو إشارة خاصة سيدركها عقلها الباطن..

يصمت قليلاً، وأصمت بدورى.. من الجيد أنه لم يصعد أو ينزل أحد من
البناية، وإلا أثار الأمر استغرابه على الأقل!
يسألنى:

- ماذا ستفعل الآن؟! هل ستنتظر مجيئى أنا و(منذر)؟! أم أنك ستتصرف من
تلقاء نفسك؟! لقد ألغينا المهمة مع الأجهزة الأمنية كاملة، وها هو (منذر)
يتكلم الآن مع العميد (مراد) ليبرر له الأمر.. أخبرنى، ماذا ستفعل؟!
أفكر لوهلة، قبل أن أجيب:

- أسمع، سأحاول أن أباغتتها، هي أولاً وأخيراً ساحرة كبيرة السنّ، ولا تهاجم
الأحياء.. أليس كذلك؟! سأحاول أن أقوم بأى شىء إلى أن تأتوا..
يقول:

- حسناً، سنأتى بعد قليل.. سنطلب من الشرطة إرسال سيارة لنا، يبدو أن
سيارة (منذر) معطلة! على كل حال؛ كن حذراً، ولا تنسَ أنها خطيرة..
أضحك فى سرى، وأقول باستخفاف:
- إنها مجرد امرأة يا (ديمترى)..
يقول محذراً:

- هي مجرد امرأة، لكنّها ساحرة يا (سامر)، ساحرة.. والعبث مع الساحرات
ليس سهلاً أبداً!
أنهى المكالمة معه، وأصعد الدرج.. هل من الجيد أن أعود إلى البيت أولاً
لأحذر (ديالا)؟!
أحذرّها من ماذا بالضبط؟!

ما بك يا (سامر)؟!

كُن شجاعاً أكثر!

إن أخبرت (ديالا) الآن بأى شىء فلا شكّ أننى سأثير قلقها، كما لا بدّ من أنها
ستجنّ إن عرفت أن الشخص المجنون الذى يشوه الجثث والذى يعدّ العدة
لتدمير هذا العالم هو جارتها.. جارتها اللطيفة البريئة الأرملة (سو)، الهندية،
وليست الرومانية كما تدّعى!

أصعد بعض الدرجات، وأقف أمام باب شقّتها..

قلبي يدقّ!

هل هذا هو التوتّر كما يصفونه؟!

أحاول ألا أفكّر بأي شيء فى هذه اللحظة، سوى بأننى واجهت أمورًا أكبر من مجرد ساحرة عجوز لا تهاجم أحدًا فى النهار، ولا تهاجم - أصلاً - أى أحد سوى الجثث!

لكن؛ ماذا لو كنا مخطئين؟!

أهزّ رأسى وأطرد أى خواطر طارئة، وأمدّ يدًا شبه مرتجفة نحو الباب، وأدقّ مرتين..

تمر بعض الثوانى وكأنها دهر كامل، قبل أن يأتينى صوتها من خلف الباب، كالفحيح، وفى تعب:

- من؟!

أقول، وأنا أحاول التنفس بقوة، دون صوت:

- إنه أنا من جديد يا مدام (سو).. يجب أن نتكلّم!

تسألنى بحذر:

- عن الرائحة من جديد؟!

أقول، ودقات قلبى تعلو دون أن أدري سببًا منطقيًا لهذا:

- لا.. وأرجو أن تفتحى الباب، أريد أن نتكلم قليلاً..

تمر ثوانٍ، وتفتح الباب..

أنظر فى وجهها، أحقق بها.. ترى هل أنا على حق؟! هل فعلاً هى ساحرة المالاكان المنشودة؟! هل جارتى هذه هى التى فعلت كلّ تلك الأشياء المقززة بالجثث؟!

تسأل، وقد فتحت جزءًا يسيرًا من الباب:

- ماذا هناك يا (سامر)؟!

حدّقت بوجهها، ولم أفكّر بأي شيء، ولم أتخيّل رد فعلها كيف سيكون، كلّ ما فعلته هو أننى قلت كلمة واحدة:

- مالاكان!

قلتها بغتة، هكذا، وأنا أنظر فى عينيها بكلّ ثقة وقوّة، محاولاً إخفاء بركان المشاعر المتناقضة العجيبة الذى انفجر فى داخلى..

قلتها بغتة، ليتوقف الزمن قليلاً، ويسود بعض الصمت، وينعقد حاجباها
الرفيعين بكل دهشة وذهول، وتشدّ على أسنانها بقوة وغضب وحدّة، ولأحسّ
فجأة بتلك القبضة غير المرئية، التي لم أرها، والتي اندفعت من مكان
مجهول، لتلكمنى فى ذقنى مباشرة بقوة شديدة للغاية، ألقت بى مترين
كاملين إلى الخلف..

سقطت على ظهري متألّماً، وكلّ عظمة من جسدى تصرخ، وتئن، قبل أن
أشعر بأننى أدوخ، وأفقد تركيزى ورؤيتى، وأهبط فى بئر عميق بلا قرار..
.. وأفقد الوعي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١١- الحافز..

الصمت التام، والضوء الخافت الذى يبدد القليل جدًّا من هذا الظلام الذى يحيط بالمكان الذى أنا فيه..

هذا ما كنت أسمعه وأراه - لو كان لى أن أقول هذا - وأنا أفتح عيني بصعوبة بالغة، وببطء؛ محاولاً تمييز الألوان والأصوات والأشكال من حولى..

أنا فى شقة (سو)، نعم، لم أدخلها سوى مرة واحدة، عندما سكنت قبل عامين، لكننى أستطيع تمييزها.. نعم، هذه شقتها..

أفتح عيني وقد بدأت أعتاد العتمة، من الجيد أن يؤبو العين يحتاج أقل قدر من الضوء كى يرى..

أنا مقيّد!

أنا مربوط فى كرسي، وذراعى خلفى طبعًا، وأمامى جلست ساحرة المالاكان (سو)، تنظر لى..

يبدو أنها كانت تنتظر أن أفيق!

ترى كم مرّ على وأنا فاقد الوعي؟!

أنظر فى عينيها مباشرة:

- إنها أنتِ إدا..

تجاهلنى فى لا مبالة مستفزّة.. أرمقها بحقد؛ رباه كم تبدو مختلفة! كأنها نسخة جديدة من (سو) التى أعرفها!

... كم بقيت فاقدًا وعي؟!

تفتح فمها وتجيب:

- عشر دقائق!

استغربت جدًّا.. هل هذا حقيقى؟!

جيد.. بل أكثر من جيّد..

تنهض من مكانها وتقترب من وجهي.. رائحة أنفاسها تكاد تخنقنى، رائحة كريهة مزعجة مقززة هى.. ترى هل كل رائحة الجيفة تلك كانت منها، أم من شىء فى منزلها؟!

تقول لى بهدوء، استنشعرت من تحته محيطًا متلاطمًا من العصبية والغضب والحدة والقلق:

- كيف عرفت؟!

لا شك أن الأمر يكاد يصيبها بالجنون!

سؤالها زاد من ثقتى بنفسى، أشعرنى لوهلة أننى فى مركز قوة.. نظرت حولى ثم نظرت لها، وقلت:

- العصفورة أخبرتنى!

انقلبت ملامحها بغتة إلى ملامح شيطانية، وجحظت عيناها بشكل مخيف غريب، واندفع من حلقها صوت أشبه بصوت عشرات الطيور المحلقة، قبل أن تصفعنى على وجهى بأقصى قوتها صارخة:

- كيف عرفت؟!

دون أن أرى وجهى الآن؛ لا شك أن نصفه الأيمن أصبح فى غاية الاحمرار..

كم هذا مهين!

أنظر إليها فى قلق.. تبدو مجنونة تمامًا، كما أن ملامحها التى انقلبت وصارت مخيفة، وذلك الصوت الحلقى الرهيب؛ هذا جعل قلبى يرتجف من الداخل!

يجب أن أكون ذكيًا..

أقول بسرعة محاذرًا أن أستفزها أكثر:

- قرأت، عرفت هذا من أحد الأصدقاء عندما شككت بأمرى وحاولت ربط الأمور ببعضها البعض..

تراجع خطوة إلى الخلف، تسأل فى حذر:

- هل أنت مع الشرطة؟!

أبتسم رغمًا عنى، هى رغم كل شيء تخاف أن يكتشف أمرها سوى.. هى قلقة!

أقول:

- كلا، ولكننى سمعت عن الأحداث التى حصلت، وقررت أن أتحقق من الأمر..

تنظر لى فى شك.. هى حتمًا تعرف أننى أكذب عليها، ولكن لا بد لى من استعمال هذه الحيلة، لعل أصل إلى حل معها..

أسألها بغتة:

- ما سرّ رائحة الجيفة هذه؟!

تجيب ببساطة:

- إنها علامة على وجودنا، لا توجد أى جثث هنا.. هى فقط علامة أننا هنا، فى هذه المنطقة..

تقولها وتبتعد قليلاً عني، تجلس، وتستطرد بهدوء تام، وبلهجة تقريرية:

... وجودك هنا ليس أكثر من ورطة بالنسبة لى!

أبتسم بسخرية غير مناسبة، وأقول:

- أعرف، أحياناً يكون تأثيرى على النساء مدمراً!

تجاهل قولى، وتقول كأنها تحدث نفسها:

... كان يجب أن يمر الأمر على ما يرام.. هى سبع جثث فى المرة الأولى، وبعدها سبعة أشخاص سيتم قتلهم وتحويلهم إلى جثث فى المرة الثانية!

تقولها وتصمت، وأنا أنظر فى ذهول..

كنتما صادقين إذًا يا (رياض) و(ديمتري)!

كنتما صادقين حقًا، وأنا كالأحمق رفضت أن أصدّق شيئاً مما وجدتماه فى الكتب..

تكمل:

... المشكلة أنك أتيت إلى هنا بقدميك، والمشكلة أنه بقيت لنا جثة أخيرة، وبعدها سيبدأ القتل..

أنظر لها دون أن أعلق، يجب أن أعرف كل ملامح خطتها القادمة.. تردف وهى تنظر لى:

... لكن ليس هناك أى مشكلة، لقد جئت إلينا.. ربما تريد أن تكون أول جثة نقتلها!

أصمت قليلاً وأنا أفكر بقولها.. أسألها بغتة:

- لم تكونى يومًا هكذا، كنت أعرفك.. كنا نعرفك، دومًا كنت هادئة وبعيدة عن أى نوع من المصائب والكوارث.. والآن تريد تهيئة عالمنا للتدمير؟!

تضيق عينيها وتتفرس بى، وتقول:

- يبدو أنك تعرف الكثير..

تنهض وتقترب منى، وتكاد تقتلنى بهذه الرائحة، وتقول:

... لم أكن أعرف أنى هكذا يا بنى، كنت مغيبة تمامًا ولم أكن مدركة لماهية وجودى فى هذه الحياة.. الآن عرفت، الآن أدركت السبب..

أسألها ما كان يجب أن أعرفه من البداية:

- ولكن كيف؟! كيف حدث هذا؟!

تبتسم:

- تسألنى عن السبب الذى جعلنى هكذا، عن الحافز الذى أعادنى لطبيعتى، أو بالأحرى: الذى ذهب بى إلى حيث طبيعتى.. أليس كذلك؟!

بالضبط.. هذا ما أفكر به الآن!

بما أنه لم تحدث أى حوادث كونية، ولم يحدث أى شىء يجعلها تصبح ما هى عليه فى هذه اللحظات؛ فما السبب؟!

ما الحافز؟!

أجيب بكل فضول الدنيا:

- نعم.. ما هو الحافز؟!

لم تقل لى: سأحضره..

لم تقل لى: سأخبرك عنه..

لم تقل لى: سأريك إياه..

فقط نظرت إلى يمينها بطرف عيناها، إلى المقعد الذى يبعد عدة أمتار عنا، وقالت:

- سأعرفك عليه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١٢- هناك ساحرة أخرى..

قالت لها لتتفجر كل الحيرة التى فى العالم، بأعماقى..
قالت لها، ونظرت لها فى عدم فهم، وتساؤل، قبل أن يظهر الجواب، دون أن تحرك شفاهها..
إذ فجأة؛ تماوج ذلك الفراغ الذى يعلو المقعد الذى نظرت إليه بطرف عينها، وبدأت تظهر تفاصيل بشرية..
أو شبه بشرية!

هناك كانت تجلس أقبح امرأة أراها فى حياتى.. أقبح ساحرة لو أردنا الحقيقة..

كانت مثل (سو) ترتدى السواد الكامل، لكن لم يكن بملامحها أى شىء مألوف.. ضخمة الجثة، يبدو من تفاصيلها أنها طويلة القامة جدًّا، عريضة البدن والأكتاف.. أنفها كبير، بعينيها حدة مخيفة، وحاجباها كثان.. هناك غلظة رهيبة فى كل ركن من وجهها.. يداها معروقتان حتى أقصى حد!

وكان فى فمها أنياب.. نعم، أنياب، ألمحهما من هنا.. أكاد أقسم على هذا، ابتسامتها الصفراء القذرة تظهر هذا بوضوح، ربما هى لم تبتسم إلا لأجل هذا..

- بسم الله الرحمن الرحيم..

أقولها فلا يبدو عليها الفهم، تبقى جالسة مكانها، تنتظر (سو) لها، ومن ثم لى:
- اسمح لى أن أعرفك على (بادوا)، إنها ساحرة المالاكان الموكلة بإيقاظ المالاكان النائمين.. إنها تنتظر منذ زمن طويل جدًّا يا (سامر).. لكن الأمر جاءها قبل أيام عبر رسالة روحية خاصة أتها من (جراشى) - جزيرة الموتى - تأمرها بأن تأتى وتوقظنى، وأن تحضر معها كل عدة الطقوس.. بالمناسبة؛ تلك السكاكين السوداء مصنوعة من شجرة اسمها (اللوانجو)، وهى شجرة ضخمة جدًّا ولها جذع من معدن!

أسمعها وأفكر بنفس الوقت..

لا أصدق هذا، الأمر ليس هكذا حتمًا، هناك تفاصيل حقيقية وتفاصيل مكذوبة فيما تقول.. عندى بعض القناعات الدينية الثابتة التى لن أغيرها أبدًا؛ فهل تأتى هذه الساحرة اللعينة مع تلك الأخرى لتغيرها؟!

مستحيل، هناك تفاصيل أخرى حتمًا تمت تخبئتها عني، ولكن هذا ليس ما يهمنى..

مما أراه، يبدو أن (بادوا) هذه أقوى من (سو).. يبدو أنها من ساحرات المالاكان القويات جدًّا..

(ديمتري) قال من ضمن ما قال؛ إنه يملكن قوّة تجعلهنّ غير منظورات، أو يبعثن رسولاً من أجسادهنّ، أو يطرن مسافات بعيدة فى الهواء..

(بادوا) كانت جالسة معنا منذ البداية إذًا!

(بادوا) هى التى لكمتنى بقوة وأنا أمام (سو)، عند الدرج!

(بادوا) هى من جعلتنى أفقد وعيى!

اللعينة!

على كلّ حال، هذا جيد.. هكذا بدأت تتضح الأمور أكثر وأكثر بالنسبة لى.. هكذا بدأ الغموض ينقشع..

تقول (سو) موجهة كلامها لى، وبنبرة باردة كادت تجمد الدم فى عروقى:

- اليوم موعد الجثة الأخيرة التى سنمارس طقوسنا عليها، وأنت ستكون المقتول الأول غدًا.. هنيئًا لك!

أهتف فى غضب:

- هنيئًا لى بماذا أيتها اللعينتان؛ بقتلى غدًا؟! أم بتشويهكم كل تلك الجثث؟! أم بتحويلكم عالمى خلال أسبوع إلى كون خاص بكنّ وحدكنّ؟! لماذا تفعلن هذا؟! لماذا؟!

تنهض (بادوا) فجأة بسرعة، فأبتلع لسانى وأنا أنظر لها فى ذعر.. الحقيقة أننى كنت أهابها، إنها تبدو مخيفة جدًّا، مثيرة للرعب والقلق بعنف.. بعنف شديد..

تقترب منى ببطء، وتقول بصوت مبحوح مختنق:

- غريزة البقاء يا هذا.. غريزة البقاء..

أسأل:

- بقاء من؟!

تجيب ببساطة، وبذات الصوت المبحوح المختنق:

- بقاء جنسنا طبعًا.. لن يبقى قومنا هناك فى حالة الجمود للأبد لو أردت رأيي.. المشكلة أن هذا ليس قرارى بل قرار تم الأخذ به والعمل فيه منذ زمن طويل للغاية، وahan الآن موعد تنفيذه..

أسأل:

- لماذا الآن؟! لماذا الآن بالذات؟!

تصمت قليلاً، وتجبب سؤالى بسؤال:

- كم تتوقع عمري؟!

أنظر إلى ملامحها القبيحة، وتجاعيدها، وهيئتها، وشكلها، وأقول ببطاء:

- ربما مائة عام!

تبتسم، لا أدري إن كانت هذه ابتسامة أم خريطة جديدة تشكلت للتو.. لكنها قالت لتصدمنى أكثر:

- عمري خمسمائة عام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنظر لها فى ذهول..

عمرها خمسمائة عام؟!

ما الذى تقوله هذه الساحرة المخبولة، التى ستجرنى معها إلى بحر الجنون كما أرى؟!

تردف متجاهلة نظرتى المذهولة المندهشة:

... منذ خمسمائة عام وأنا أنتظر هذه اللحظة، منذ خمسمائة عام وأنا أنتظر الخسوف الكبير، منذ خم...

أقاطعها بغتة:

- الخسوف الكبير؟!

تقول بهدوء:

- لقد حصل هذا منذ أسبوع تقريبًا، هذه هى العلامة التى كنت أنتظرها منذ خمسمائة عام، والتى أتننى بسببها الرسالة الروحية الأخيرة من (جراشى)..

الخسوف الكبير؟!

تَبَّأ لك يا (منذر)، قلبى الصغير لا يتحمل!

ما هذا الذى تفعله فينا بالضبط؟!
أزفر بقوة، وشدة، وغضب.. أسألها:
- حسناً، وما الذى ستفعلينه الآن؟!

تقول لى:

- لا شيء.. سنقتلك غداً لأن هذا ما يجب أن نفعله! وبعدها سنقتل ستة
أشخاص غيرك، تمهيداً لحضور الروح الكبيرة..
أقول لها من باب الاستفزاز:

- الدراجو؟!

أحببت بهذه الكلمة أن أخبرها أننى أعرف الكثير.. جداً..
لم يبد عليها أى تأثير، هى واثقة أننى أعرف الكثير أصلاً، لكن هل تعرف كل
شيء؟!
لا أعتقد..

بدا القلق على وجه (سو) إثر الكلمة المستفزة، لكنّ (بادوا) أوقفها بإشارة
من يدها وقالت بلهجة مخيفة كالثلج:

- ستبقى هنا حتى الغد، حيث ستلاقى موتك!
أبتسم بطريقة أثارت استغرابها حتمًا، وأقول بكل ثقة:
- بالمناسبة، إنهم قادمون!

تقول (سو) فى توتر:

- من هم؟!

أقول لأغيظها وأستفزها وأغضبها أكثر:

- هم.. رفاقى الشرطة! قادمون بعد قليل.. فاستعدوا أنتم لملاقاة موتكم..

تقول (بادوا) فى ثقة:

- لا شيء يستطيع إيقافنا!

أفكر بسرعة، وقلق..

لقد تأخر (منذر) و(ديمتري) كثيرًا، أين هما؟!

هل هذا هو الوقت الأنسب، كى تتعطل سيارة (منذر)؟!

هل هذا هو الوقت الأنسب، كى تتأخر سيارة الشرطة فى الوصول إليهما؟!
هل هذا هو الوقت الأنسب، كى أبقى وحدى طوال هذا الوقت مع هاتين
الساحرتين اللعينتين؟!
تَبَّاءُ.. تَبَّاءُ..

فجأة، وبتوفيق غريب من الله، تذكرت آخر ورقة أملكها..
تذكرت آخر حلٍّ أستطيع مجابهتهما به، والوقوف أمامهما دون خوف ودون
قلق!

تقول (سو) وهى تقترب منى:
- حسناً، سنأخذك معنا، صار لا بد من مغادرة هذا المكان، إنه لم يعد آمناً
بالنسبة لنا..
استجمعت شجاعتي، وقلت بسرعة، متوقعاً أى شىء، مستعداً لأى ضربة أو
لكمة أو صفعة مباغطة:
- مالاكان ليغوز نايزوز هوسا هوسا!

قلتها كمحاولة أخيرة من الغريق للتشبث بقشة..
التعويذة التى وضعها (منذر) فى جيبى!
التعويذة التى تذكرت أول كلماتها فقط!
يبدو أن الأمر كان قاسياً جداً بالنسبة لهما، إذ إن كلَّ واحدةٍ منهنَّ صرخت
وأخذت تتلوّى بغتة، وأمسكت جانبي رأسها، والتفتت إلى (بادوا) فجأة بعينين
حمرّاوين مشتعلتين، ومدت يدها وكأنها ستصفعنى عن بعد!
يا حمقاء.. هذا ما كنت أريده منك بالضبط!

أتنى صفعتها غير المرئية وانتزعتنى أنا والكرسى من مكاننا، وألقتنا ثلاثة
أمتار إلى الخلف..

حاولت تجاهل كل آلامى، وتركيز أفكارى نحو نقطة واحدة مهمة جداً:
لقد انكسر الكرسي!
وانكساره لا يعنى سوى أننى صرت حرّاً، وأن بوسعى التقاط الورقة من
جيبى..

لم أضع أى وقت، أخرجتها فوراً، وأكملت بصوت مرتفع:

... هيكوز سايوز بورين هوسا هوسا!

لم أكن مقتنعا بجدوى هذه الكلمات صباح اليوم، وها أنا أستعملها الآن بكل ثقة وشجاعة وبأس..

تتلوى (بادوا)، تتلوى (سو).. تمسك كل واحدة منهم رأسها وتضغط بعنف على الجانبين، لا يهمنى أن يعرف ما الذي تفعله هذه الكلمات فيهن.. يهمنى فقط أن هذا الشيء يجدى نفعاً وأنهما تتعذبان!

ترفع (بادوا) رأسها وتبدو مخيفة للغاية، لكننى لم أرحمهما:

... كيلافاسى لوكولابوتا مالاسى لوكومبا هوسا!

الأرض تهتز..

وكأن هناك زلزالاً خفيفاً يحدث، أشعر به، أحسه.. هل هذه علامة ما؟! هل هذه إشارة معينة؟!

تألمان أكثر، تن كل واحدة منهم بصوتها.. الغريب أن هذا يشعرنى بنشوة شديدة!

أكمل دون شفقة:

... مامونجا لوكواسيسجا.. مامونجا لوكواسيسجا!

هنا بالذات بدأ صراخهما يزداد، وبدأت الأرض تهتز أكثر، وبدأ شيء من الظلام يتسرب إلى، إلى كيانى، إلى عيني..

صراخ..

اهتزاز..

الأرض تميد بى، الأصوات تتداخل من خلفى وأمامى وحولى، أسمع من بعيد أصوات أشخاص يصعدون الدرج.. أسمع أصوات سيارات شرطة، كيف؟! أين؟! لماذا؟!

ما الذى يحدث؟!

يهدأ الاهتزاز، وتشتعل نار زرقاء فجأة فى الساحرتين..

الصورة مشوشة، أكاد لا أرى شيئاً.. وعيى يذهب، يروح، يحمل حقائبه ويسافر، أين أنا؟! ماذا أفعل هنا؟!

وللمرة الثانية أسقط فاقد الوعي..

.. لقد صار هذا مملاً جداً!

oo oo oo oo oo



١٣- الختام..

عندما أفقت، كان قد انتهى كلُّ شىء..

- لقد أفاق!

- إنه يفتح عينيه!

- لقد عاد إلى وعيه!

اسمع هذه الكلمات وأفتح عيني مرة واحدة.. كنت مستلقياً فى سرير مريح، أبيض اللون، وكانوا حولي جميعاً بلا استثناء..

لم أرهم من قبل فى مكان واحد، كلهم ينظرون لى.. (ديالا) و(كريم) و(منذر) و(ديمترى) و(يوسف) و(همام)..

جميعهم!

يهنؤننى بالسلامة كلهم، يخرجون وبقى قليلاً أنا وزوجتى وابنى الجميلين.. أطمئنهم أن الأمر مر على خير بحمد الله، وأنه لا يجب أن يقلقوا من أى شىء..

أستاذنهم بأن يخرجوا قليلاً، وأنى بحاجة لرؤية الوغدين الذين جاءا فى النهاية، بعد أن أنهيت وحدى كل شىء..

جاءا، (منذر) و(ديمترى)، وعاتبتهما قليلاً على تأخرهما، قبل أن أسأل هذا الأخير:

- وأين هما الآن؟! هل وجدتم أياً منهما؟!

يجيبنى:

- لم نجد فى الشقة شيئاً غير بعض السكاكين السوداء فقط.. كما أن الذى تبقى منهما هو القليل جداً من الرماد..

يسأل (منذر) فى اهتمام، بابتسامة واسعة:

- هل ماتتا؟!

أقول:

- كلا، طبقاً للأسطورة فهما انتقلتا الآن إلى جزيرة الموتى، ويستربط كل واحد منهما بحجر (موداوزى) الأسود، وستظل فيه مربوطة مدة ألف عام ما

لم ينقذها أحد.. بعدها ستمر فى البئر الذى يدعى (جلالا) لتحرق فى مآتم
جنازى كبير اسمه (إيوالا)، هناك فى العالم الآخر!

ينظر لى (ديمتري) بإعجاب:

- تعجبنى قدرتك على الحفظ..

أقول:

- ليس دائماً، صدقنى..

يقول ضاحكاً:

- لا شك أن (توبليتا) سيد الجزيرة، سيتسلى بها قليلاً..

نضحك جميعاً، قبل أن يقول (منذر):

- (سامر)؟!!

ألتفت إليه:

- نعم..

يسألنى آخر سؤال أتوقعه:

- هل تظن أن لهم علاقة بمدينة الجماجم؟!

يا إلهى!

مدينة الجماجم..

لقد نسيت كل شىء عن مدينة الجماجم فى اليومين الماضيين..

هل لساحرات المالاكان علاقة بهم؟!

هل الأسطورة الهندية بنيت على اتصال بهذه المدينة منذ زمن بعيد للغاية؟!

لا أدرى..

هذه المرة لم يقترب منى أحد من مدينة الجماجم، لكننى واثق أننى سألتقى
بأحد من هناك، قريباً..

أفكر بهذا بينى وبين نفسى، ولم أكن أدرى كم كنت محقاً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متميزون للكتب النصية



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القناة

الفهرس..

مقدّمة

١- الكيان الأسود..

٢- المخايرات العلمية..

٣- رائحة جثث يا (سامر)!

٤- جثث بدون أحشاء وعيون. وألسنة!

٥- أكلة لحوم البشر..

٦- هُناك جثة رابعة!

٧- اسمها (سو)!

٨- ساحرات المالاكان..

٩- منطقتي..

١٠- مع (سو) من جديد..

١١- الحافز..

١٢- هناك ساحرة أخرى..

١٣- الختام..

الفهرس..